كتاب الدعوات

٢٥٠ ـ باب فضل الدعاء

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ الآية [النمل: ٦٢].

الشرح

قال المؤلف «الحافظ النووي»[١] – رحمه الله – كتاب الدعوات: الدعوات جمع دعوة، وهي دعوة الإنسان ربه عزَّ وجلَّ، يقول: يا رب، يا رب. وما أشبه ذلك، يسأل الله تعالى أن يعطيه ما يريد، وأن يكشف عنه ما لا يريد.

ثم قال "باب فضل الدعاء"، ثم ذكر الآيات ومنها قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. وهذا قول من الله عزَّ

(١) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه أبوزكريا يحيى بن شرف النووي، ولد في «نوى» من أعمال دمشق ـ عام ٦٣١هـ وتوفي فيها عام ٦٧٦هـ تغمده الله بواسع رحمته ورضوانه واسكنه فسيح جناته. انظر: «طبقات الحفاظ» للسيوطي (١/ ٥١٣). طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٣٩٥).

وجلَّ ووعد، والله تعالى لا يخلف الميعاد، ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾. والمراد بالدعاء هنا دعاء العبادة ودعاء المسألة، أما دعاء العبادة فهو أن يقوم الإنسان بعبادة الله لأن القائم بعبادة الله لو سألته: لماذا أقمت الصلاة؟ لماذا آتيت الزكاة؟ لماذا صمت؟ لماذا حججت؟ لماذا جاهدت؟ لماذا بررت الوالدين؟ لماذا وصلت الرحم؟ لقال: أريد بذلك رضا الله عزَّ وجلَّ وهذه عبادة متضمنة للدعاء.

أما دعاء المسألة فهو أن تسأل الله الشيء فتقول: يا رب اغفر لي، يارب ارحمني، يا رب ارزقني. وما أشبه ذلك. وهذا أيضًا عبادة كما جاء في الحديث "الدعاء هو العبادة"[1] وهو عبادة لما فيه من صفة التوجه إلى الله تعالى والاعتراف بفضله، فيكون قوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ ﴾. يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾: والاستجابة في دعاء العبادة هي قبولها، والاستجابة في دعاء المسألة إعطاء الإنسان مسألته، وهذا وعد من الله تعالى، لكن لابد من أمور، فلابد لإجابة الدعاء من شروط:

الشرط الأول: **الإخلاص**، أن تخلص لله فتكون داعيًا له حقًّا، إن كنت في عبادة، لا تشرك به شيئًا، لا تعبدْه رياءً ولا سمعة، ولا من أجل أن يقال: فلانٌ حجّ، فلان سخي، فلان كثير الصوم.

إذا قلت هذا أحبطتَ عملك، فلابد من الإخلاص في المسألة أيضًا،

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا.

ادعُ الله وأنت تشعر بأنك في حاجة إليه وأنه غني عنك وقادر على إعطائك ما تسأل.

الشرط الثاني: أن يكون **الدعاء لا عدوان فيه**، فإن كان فيه عدوان فإن الله لا يقبله ولو من الأب لابنه أو من الأم لابنها، لقول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾، فلو دعا الإنسان بإثم بأن سأل ربه شيئًا محرمًا – والعياذ بالله – فهذا لا يقبل، لأنه معتدٍ، ولو سأل ما لا يمكن شرعًا، مثل أن يقول: اللهم اجعلني نبيًّا، فلا يجوز وهو عدوان لا يقبل، ولو دعا على مظلوم فإنه لا يُقبل، ولو دعت المرأةُ على ابنها لأنه يُحبُّ زوجته فإنه لا يُقبل، وكذلك الأب لو دعا على ابنه لأنه صاحب أناسًا طيبين فإنه لا يقبل، فيشترط أن لا يكون في الدعاء عدوان.

الشرط الثالث: يُشترط أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة لا دعاء تجربة، لأن بعض الناس قد يدعو ليجرّب، ليرى هل يُقبل الدعاء أم لا، هذا لا يُقبل منه، ولكن ادع الله وأنت موقن بأن الله تعالى سيجيبك، فإن دعوتَه وأنت في شك فإنه لا يقبله منك.

الشرط الرابع: اجتناب الحرام، بأن لا يكون الإنسان آكلاً للحرام، فمن أكل الحرام من ربا أو فوائد غش أو كذب أو ما أشبه ذلك فإنه لا يُستجاب له، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين" قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ

مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر "الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمدّ يده إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمُه حرام وملبسُه حرام وغُذّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك"[1].

فاستبعد النبي ﷺ أن يستجيب الله لهذا، مع أنه فعل من أسباب الإجابة ما يكون جديرًا بالإجابة، ولكن لما كان يأكل الحرامَ صار بعيدًا أن يقبل الله منه نسأل الله العافية. فهذه أربعة شروط للدعاء لابد منها. والله الموفق.

* * *

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ **الآية** [البقرة: ١٨٦]. **وقال تعالى:** ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ **الآية** [النمل: ٦٢].

الشــرح

سبق لنا الكلام على بيان فضيلة الدعاء وشروط الإجابة، وفي هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

الخطاب إلى النبي ﷺ يقول الله له: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى ﴾.

(١) رواه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم(١٦٨٦).

يعني: هل أنا قريب أو لست بقريب، فالجواب ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾. وقربه جل وعلا قرب يليق بجلاله وعظمته، ليس قرب مكان، لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء، فوق السماوات السبع، فوق العرش، ولكنه قرب يليق بجلاله وعظمته، فهو مع علوه العظيم الذي لا منتهى له إلا بذاته المقدسة فهو مع ذلك قريب في علوه بعيد في دنوّه جلَّ وعلا، قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: "إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته[1]" ولكنه فوق سماواته.

السماوات السبع والأرضون السبع في كفه جل وعلا كخردلةٍ في كف أحدنا[2]، فهو محيط بكل شيء لا إله إلا هو.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾. قربًا يليق بجلاله وعظمته وليس قرب مكان، بمعنى أنه ليس عندنا في الأرض بل هو فوق سماواته جل وعلا ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾. هذا الشاهد أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه حقيقة والتجأ إليه وافتقر إليه، وعلم أنه لا يكشف السوء إلا الله وأنه محتاج إلى ربه، فإنه إذا دعاه في هذا الحال أجابه سبحانه وتعالى، ولكن لابد من ملاحظة الشروط السابقة.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾: أي لما دعوتهم إليه، من عبادته سبحانه وتعالى، ومنها أن يدعوني، لأن الله أمر بذلك ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٠٢).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٨٦)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٥).

﴿ وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ إيمانًا حقيقيًّا لا شك معه، ولا كفر معه.

وحينئذ يكون الله تعالى أسرع إليهم بالإجابة.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ لعل هنا للتعليل، أي: لأجل أن يرشدوا، فيكونوا في جميع تصرفاتهم على وجه الرشد، والرشد ضده السفه، وهذه أيضًا من الآيات التي تحث الإنسان أن يدعو الله عزَّ وجلَّ بإيمان وإخلاص.

ثم ذكر المؤلف الآية الرابعة، وهي قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢]. الاستفهام هنا للإنكار والنفي، يعني لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، فالله عزَّ وجلَّ يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا، حتى الكافر إذا اضطر ودعا الله أجابه سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ [لقمان: ٣٢]. فالمضطر الذي تلجئه الضرورة إلى دعاء الله ولو كان كافرًا يجيب الله دعوته، فما بالك إذا كان مؤمنًا، فمن باب أولى، فلا أحد يجيب المضطر إذ دعاه إلا الله، أما غير الله عزَّ وَجلَّ فقد يجيب وقد لا يجيب، ربما تستغيث بإنسان وأنت غريق أو حريق، تستغيث به ولا يجيبك، ولا ينقذك، لكن الله عزَّ وجلَّ إذا اضطررت إليه ودعوته أجابك ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢]. ﴿ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ أي: يزيله ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٢]. أي لا إله مع الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وفي هذا رد وإبطال لما يدّعيه

عباد الأصنام من أنها تجيبهم وتغيثهم، فإن هذا لا حقيقة له، أي أحد تدعوه من دون الله فإنه لا يجيبك، حتى الرسول ﷺ لو دعوته وقلت: يا رسول الله أنقذني من الشدة، فإنك مشرك كافر، والرسول ﷺ متبرئ منك ويقاتلك لو كان حيًّا، لأنه لا أحد يُدعى إلا الله، كل من يُدعى من دون الله فإنه لا يستجيب ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦]. فهذه الآيات وأمثالها تدل على فضيلة الدعاء والدعوة إليه، وأنه لا ينبغي ولا يمكن للإنسان أن يستغني عن ربه طرفة عين.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعاه أجابه وإذا استغفره غفر له، وإذا تاب إليه تاب عليه.

* * *

١٤٦٥ – وعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنهما عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "الدُّعَاءُ هوَ العِبادَةُ"[١]. رواه أبوداود، والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشـرح

لـمَّا ذكر المؤلف – رحمه الله – الآيات الدالة على فضل الدعاء والأمر به ذكر الأحاديث، وذلك أن الأدلة هي الكتاب والسنة وإجماع المسلمين

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٧١)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم(١٢٦٤)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٢٩٤)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، رقم(٣٨١٨).

والقياس الصحيح، هذه هي الأدلة الأربعة التي بَنى المسلمون عليها أحكام شريعة الله عزَّ وجلَّ "الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح" وكلها تدور على القرآن الكريم، وهو الأصل، فلولا أن الله سبحانه وتعالى جعل طاعة رسول الله ﷺ من طاعته وأمر باتباع رسوله ﷺ ما كانت السنة دليلاً، ولولا أن الله تعالى جعل إجماع هذه الأمة على حق.وأنها لا يمكن أن تجتمع على ضلالة ما كان الإجماع دليلاً، ولولا أن الاعتبار والنظر وإلحاق النظير بالنظير من أدلة الشرع التي دل عليها القرآن ما كان القياس أيضًا دليلاً، ولكن كل هذا قد دل القرآن على أنه دليل تثبت به الأحكام الشرعية.

فذكر المؤلف – رحمه الله – آيات من كتاب الله عزَّ وجلَّ في فضل الدعاء والأمر به، ثم ذكر الأحاديث، ومنها حديث النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة" يعني: أن الدعاء من العبادة ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]. لم يقل: يستكبرون عن دعائي. قال: ﴿ عَنْ عِبَادَتِى ﴾. فدل هذا على أن الدعاء هو العبادة، ووجه ذلك من النظر أن الإنسان إذا دعا ربه فقد اعترف لله عزَّ وجلَّ بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شيء قدير، وأن العطاء أحب إليه من المنع، ثم هو لم يلجأ إلى غيره، لم يدع غير الله لا ملكا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا قريبًا ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة، وبذلك نعرف أنك إذا دعوت الله أُثِبْتَ على

هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبدت لله عزَّ وجلَّ وعبدت الله، فإذا قلت: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني، يا رب اهدني، فهذه عبادة تقربك إلى الله عزَّ وجلَّ ويكتب الله لك بها ثوابًا عنده يوم القيامة. وفّق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح.

* * *

١٤٦٦ - وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوامعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ[1]. رواه أبوداود بإسناد جيد.

١٤٦٧ - وَعَنْ أنس رضي الله عنه كَانَ أَكْثَرُ دُعَاء النَّبِيِّ ﷺ "اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وفي الآخرةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"[2] [متفق عليه].

زاد مسلم في روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

الشــرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في باب فضل الدعاء أحاديث: منها حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم(١٢٦٧).

(٢) البخاري: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ ربنا آتنا... رقم(٥٩١٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء بـ اللهم آتنا في الدنيا حسنة، رقم(٤٨٥٥).

سوى ذلك، يعني أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، ذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلاً إذا أراد أن يدعو الإنسان ربه أن يدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة. ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا، لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها، فيكون هذا التفصيل كالحاصر لها، فإذا دعا دعاء عامًّا كان هذا أشمل وأجمل.

وأما تكرر الدعاء فإن النبي ﷺ كان يكرر الدعاء، فإذا دعا، دعا ثلاثًا[1].

ومن أجمع ما يكون من الدعاء ما ذكره في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في دعائه: "اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" هذا الدعاء أجمع الدعاء "ربنا آتنا في الدنيا حسنة" يشمل كل حسنات الدنيا، من زوجة صالحة، ومركب مريح، وسكن مطمئن وغير ذلك، "وفي الآخرة حسنة" كذلك يشمل حسنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين، والمرور على الصراط بسهولة والشرب من حوض الرسول ﷺ ودخول الجنة، إلى غير ذلك من حسنات الآخرة. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية، بل هو أجمعها، لأنه شامل، وكان أنس رضي الله عنه يدعو بذلك، وإذا دعا بشيء آخر دعا بذلك أيضًا، يعني كأنه

---

(١) البخاري: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ ربنا آتنا... رقم(٥٩١٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء بـ اللهم آتنا في الدنيا حسنة، رقم(٤٨٥٥).

رضي الله عنه لا يدعه أبدًا إذا دعا، وهذا يدل على فضيلة هذا الدعاء، وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو به، ولهذا كان الرسول ﷺ يختم به أشواط الطواف، يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار" في آخر كل شوط. والله الموفق.

* * *

١٤٦٨ - وَعَنْ ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، والتُّقى، والعَفَافَ، والغنَى"[1] رواه مسلم.

الشـرح

لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ بعض الأحاديث الواردة في الدعاء ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى" هذه كلمات أربع يسألها النبي ﷺ ربه "اللهم إني أسألك الهدى" والهدى يعني العلم النافع، والهدى نوعان: هدى علم، وهدى عمل. وبعضهم يقول: هدى دلالة. وهدى توفيق، فإذا سأل الإنسان ربه الهدى فهو يسأل الأمرين، يعني يسأل الله أن يعلمه وأن يوفقه للعمل، وهذا داخل في قوله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: ٦]. يعني: دلنا على الخير ووفقنا إلى القيام به،

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم(٤٨٩٨).

لأن الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام في هذا الباب.

الأول: قسم علّمه الله ووفقه للعمل، وهذا أكمل الأقسام.

الثاني: قسم حُرِم العلم والعمل.

الثالث: قسم أُوتِي العلم وحُرِم العمل.

الرابع: قسم أُوتِي العمل لكن بدون علم، فَضَلَّ كثيرًا.

وخير الأقسام الذي أوتي العلم والعمل معًا، وهذا داخل في دعاء الإنسان "اللهم اهدني"، أو ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾.

وأما "التقى" فالتُّقى بمعنى التقوى، والتقوى اسم جامع لفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه لأنه مأخوذ من الوقاية، ولا يقيك من عذاب الله إلا فعل أوامره واجتناب نواهيه.

"والعفاف" يعني **(العفاف)** عن الزنا، ويشمل زنا النظر، وزنا اللمس، وزنا الفرج، وزنا الاستمتاع، كل أنواع الزنا، فتسأل الله العفاف عن الزنا كله بأنواعه وأقسامه، لأن الزنا والعياذ بالله من الفواحش، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وهو مفسد للأخلاق ومفسد للأنساب ومفسد للقلوب ومفسد للأديان.

وأما "الغنى" فالمراد الغنى عن الخلق بأن يستغني الإنسان بما أعطاه الله عما في أيدي الناس، سواء أعطاه الله مالاً كثيرًا أو قليلاً، والقناعة كنز لا يفنى، وكثير من الناس يعطيه الله تعالى ما يكفيه لكن يكون في قلبه الشح والعياذ بالله فنجده دائمًا في فقر وإذا سألت الله الغنى فهو سؤال أن يغنيك الله تعالى عما في أيدي الناس بالقناعة والمال الذي تستغني به عن غيره جلَّ

وعلا. فهذه الأدعية الأربعة ينبغي للإنسان أن يدعو بها كما كان النبي ﷺ يدعو بها "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى". والله الموفق.

* * *

١٤٦٩ – وعَنْ طارقٍ بن أشيَمَ رضي الله عنه قال: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ علَّمهُ النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ ثُمَّ أَمرَهُ أَنْ يَدْعُو بهؤلاءِ الكلماتِ: "اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَاهدِنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقني"[١] رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ عَنْ طارقٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ وأَتَاهُ رَجُلٌ فقالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْنِي، وعافني، وارْزُقْنِي، فإنَّ هؤلاءِ تجمعُ لَكَ دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ"[٢].

الشـرح

ساق المؤلف عن طارق بن أشيم رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أسلم الرجل علّمه الصلاة، لأن الصلاة هي أهم وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، فكان النبي ﷺ يُعلّم الرجل إذا أسلم كيف يصلي ويأمره بهذا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٤).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم(٤٨٦٥).

الدعاء: "اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني" خمس كلمات يعلمها النبي ﷺ الرجل إذا أسلم.

"اللهم اغفر لي" يعني اغفر لي الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]. ولكن طلب المغفرة مشروع حتى بعد الإسلام من كل مسلم لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: "وخير الخطائين التوابون"(١).

"وارحمني" يعني: أسبغ علي رحمتك، ففي طلب المغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفي طلب الرحمة حصول المطلوبات، لأن الإنسان لا يتم له لأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب.

"واهدني" وقد سبق لنا بيان معنى **"الهداية"** أنها هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد.

"وعافني" أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾ [البقرة: ١٠]. ومرض جسمي في أعضاء البدن، وإذا سألت الله المعافاة فالمراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن، لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيرًا لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآل كل حي ولا بد منه.

---

(١) رواه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، رقم (٢٤٢٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم(٤٢٤١).

لكن مرض القلب والعياذ بالله فساد الدنيا والآخرة، إذا مرض القلب بالشك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله، أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته. ولهذا ينبغي لك إن سألت العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب ومرض البدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.

وكذلك اللفظ الآخر الذي ذكره المؤلف - رحمه الله - أن النبي ﷺ سأله رجل عما ينفعه وما يحتاجه، فأمره أن يدعو بهذا الدعاء "اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني".

"وارزقني" يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والإنسان إذا قال: "وارزقني" فهو يسأل الله هذا وهذا.

فينبغي للإنسان أن يحرص على هذه الدعوات التي علّمها النبي ﷺ أمته والتي يبادر بتعليمها الإنسان إذا أسلم. والله الموفق.

* * *

١٤٧٠ - وعن عَبْدِ الله بن عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَال: قَال رَسُولُ الله ﷺ: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طاعتِكَ"[(١)] رواه مسلم.

---

(١) رواه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم(٤٧٩٨).

الشـــرح

نقل المؤلف – رحمه الله – فيما يسوقه من أحاديث الدعاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "اللهُمَّ مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" القلوب بيد الله عزَّ وجلَّ، كل قلب من قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء، وكيف شاء عزَّ وجلَّ، ولهذا كان ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا أن يثبته وأن يصرف قلبه على طاعته، وإنما خص القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد، كما صح ذلك عن النبي ﷺ حين قال: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله"(١).

وقوله: "صَرِّف قلوبنا على طاعتك" قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال "إلى طاعتك" لكن قوله: "على طاعتك" أبلغ، يعني قلّب القلب على الطاعة فلا يتقلب على معصية الله، لأن القلب إذا تقلّب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله عزَّ وجلَّ، فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

* * *

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم(٥٠)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم(٢٩٩٦).

١٤٧١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "تَعَوَّذُوا بالله من جهد البلاء، ودَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القضاء، وَشَماتةِ الأَعْداءِ"[١] متفق عليه.

وفي رواية: قال سُفْيان: أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ واحدةً منها.

الشـــرح

نقل المؤلف - رحمه الله - في باب فضل الدعاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء" فهذه أربعة أشياء أمرنا الرسول ﷺ أن نتعوذ منها:

أولاً: جهد البلاء: أي من البلاء الذي يبلو الجهد، أي الطاقة، والبلاء نوعان: بلاء جسمي كالأمراض، وبلاء معنوي بأن يُبتلى الإنسان بمن يتسلّط عليه بلسانه فينشر معايبه ويخفي محاسنه وما أشبه ذلك، هذا من البلاء الذي يشق على الإنسان، وربما يكون مشقة هذا الإنسان أبلغ من مشقة جهد البلاء الجسمي، فيتعوذ الإنسان من جهد البلاء. أما البلاء البدني فأمره ظاهر، أمراض وأوجاع في الأعضاء، في البطن، أو الصدر، أو الرأس، أو الرقبة، أو في أي مكان، هذا من البلاء وربما يكون أيضًا من البلاء قسم

---

(١) رواه البخاري: كتاب القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء، رقم(٦١٢٦)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم(٤٨٨٠).

ثالث، وهو ما يُبتلي اللهُ به العبدَ من المصائب الكبيرة العظيمة ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ ﴾[الحج: ١١] والعياذ بالله، إذا أصابه خير وراحة وطمأنينة اطمأن وإن أصابته فتنة دينية أو دنيوية انقلب على وجهه، تجد إيمانه متزعزعًا، فأدنى شبهه تَرِدُ عليه تصرفه عن الحق، تجده لا يصبر، فيتسخط على قضاء الله وقدره، وربما يقع في قلبه أشياء لا تليق بالله عزَّ وجلَّ من أجل هذا البلاء.

ثانيًا: "ومن درك الشقاء" أي تعوذ بالله من أن يدركك الشقاء، والشقاء ضد السعادة، والسعادة سببها العمل الصالح، والشقاء سببه العمل السيئ، فإذا استعذت بالله من درك الشقاء فهذا يتضمن الدعاء بألا تعمل عمل الأشقياء.

ثالثًا: "ومن سوء القضاء" سوء القضاء يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أن أقضي قضاء سيئًا.

والمعنى الثاني: أن يقضي الله على الإنسان قضاءً يسوؤه، والقضاء يعني الحكم.

فالإنسان ربما يحكم بالهوى ويتعجل الأمور ولا يتأنى ويضطرب، هذا سوء قضاء، كذلك القضاء من الله عزَّ وجلَّ، قد يقضي الله عزَّ وجلَّ على الإنسان قضاءً يسوؤه ويحزنه، فتستعين بالله عزَّ وجلَّ من سوء القضاء.

رابعًا: "ومن شماتة الأعداء" الأعداء جمع عدو، وقد ذكر الفقهاء ضابطًا للعدو، فقالوا من سره ما ساء شخصًا أو غمّه فرحُه فهو عدوُّه، كلُّ

إنسانٍ يسرُّه ما ساءك أو يغمُّه فرحُك فإنّه عدو لك.

"وشماتة الأعداء" إن الأعداء يفرحون عليك، يفرحون بما أصابك، والعدوُّ لا شك أنه يفرح في كل ما أصاب الإنسان من بلاء، ويحزن بكل ما أصابه من خير، فأنت تستعيذ بالله عزَّ وجلَّ من شماتة الأعداء.

لقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتعوذ بالله من هذه الأمور الأربعة، فينبغي للإنسان أن يمتثل أمر الرسول وأن يستعيذ بالله منها لعل الله أن يستجيب له. والله الموفق.

* * *

١٤٧٢ - وعَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي ديني الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أمري، وأصلحْ لي دُنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجْعَلِ الحياةَ زِيادةً لي في كل خير، واجعَلِ الموتَ رَاحةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ"[1] رواه مسلم.

الشــرح

ومن هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف - رحمه الله - في باب فضل الدعاء، حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم(٤٨٩٧).

آخرتي التي إليها معادي، (أو التي فيها معادي) واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر".

فبدأ بالدين، وقال: "أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري" أي اجعله صالحًا بأن يكون خالصًا صوابًا. والدين هو الذي يعتصم به الإنسان من الشر ويعتصم به من الأعداء، لأنه كلما صلح الدين اعتصم الإنسان به من كل شر، وصلاح الدين يكون بالإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ، فمن أشرك بالله فدينه غير صالح، فمن صلى رياءً، أو تصدق رياءً، أو صام رياءً، أو قرأ القرآن رياءً، أو ذكر الله رياءً، أو طلب العلم رياءً، أو جاهد رياءً، فكل هذا عمله غير صالح والعياذ بالله، وهو مردود عليه لقول الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عَمِل عملاً أشرك به معي غيري تركته وشركه"[1] كذلك المبتدع لا عصمة له، فليس معصومًا من الشر، بل الذي وقع فيه هو الشر، قال الرسول ﷺ: "كُلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[2].

فالمبتدع وإن ذكر الله وإن سَبّح وإن حمد وإن صلى على وجه ليس بمشروع فعمله مردود عليه، قد يزين الشيطان للإنسان عبادة فيلين قلبه ويخشع ويبكي، ولكن ذلك لا ينفعه إذا كان بدعة، بل هو مردود عليه، ألم تر إلى النصارى يأتون إلى الكنيسة، ويبكون ويخشعون أشد من خشوع

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم(٥٣٠٠).

(٢) رواه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم(١٥٩٠).

بعض المسلمين، ومع ذلك لا ينفعهم هذا لأنهم على ضلالة، كذلك أهل البدع، مثلاً نجد من أهل البدع - ولا سيما الصوفية - أذكارًا كثيرة يذكرون الله ويبكون ويخشعون، وتلين قلوبهم، لكن هذا كله لا ينفعهم، لأنه على غير شرع الله، قال النبي ﷺ: "من أحْدَث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[١]" أي: مردود عليه، وقال: "من عمل عملاً ليس عيه أمرنا فهو رد"[٢].

وقوله: "هو عصمة أمري" يعني الذي أعتصم به من الشر والفتن وغير ذلك.

"وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي" الدنيا معاش، تقيم فيه أو تسكن فيها إلى أن تموت، ولكنها ليست دار قرار وأين الذين استقروا فيها؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ أين الأغنياء؟ أين الأثرياء؟ أين الفقراء؟ أين الأسياد؟ أين المسودون؟ كلهم ذهبوا فصاروا أحاديث، وأنت في يوم من الأيام ستكون أحاديث، قال الشاعر الحكيم[٣]:

بَيْنَا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا حتى يُرى خَبَرًا من الأخبار

هو الآن مخبر، يقول صار كذا وصار كذا ومات فلان وولد فلان،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على ما صلح جور فالصلح مردود، رقم(٢٤٩٩)، ومسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم(٣٢٤٢).

(٢) رواه البخاري مرسلاً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأسنده مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم(٣٢٤٣)

(٣) هو أبو الحسن التهامي.

ولكنه سوف يكون هو خبرًا من الأخبار، نحن الآن نتحدث عن مشايخنا، وزملائنا، وإخواننا، وآبائنا، وجميعهم خبر من الأخبار كأن لم يوجدوا بالدنيا، كأنهم أحلام، وهكذا أنت أيضًا، فالدنيا معاش فقط وليست قرارًا، ولكنها إن وُفّق الإنسان فيها إلى العمل الصالح وجعلها منفعة للآخرة فيا حبذا، وإن كانت الأخرى وصار يعمل للدنيا لا للآخرة خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، ولهذا قال: "التي فيها معاشي" فقط معاش يعيش الإنسان ثم يتركها.

"وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي" الآخرة هي التي إليها المعاد ولا مفر منها، قال الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٩ – ٥٠].

الأولون والآخرون كلهم سوف يجمعهم الله تعالى في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ [هود: ١٠٣ – ١٠٤]. لأجل معدود، وليس لأجل ممدود بل معدود، يُعدّ عدًّا، لكنه كله يفنى سريعًا، حال اليوم الذي هو معاد كل أحد، كل أحد معاده إلى يوم القيامة، والشاعر الحكيم يقول:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يومًا على آلة حدباء محمول[1]

كلنا سنُحمل على النعش مهما طالت بنا الحياة، أو نحترق فتأكلنا

---

(١) كعب بن زهير، انظر ديوانه (١/ ٤٩).

النار، أو نموت في فلاة من الأرض فتأكلنا السباع، أو في البحر فتأكلنا الحيتان،لا ندري، المهم أن كل إنسان مآله إلى الآخرة. ولهذا قال: "أصلح لي آخرتي التي إليها معادي" وصلاح الآخرة أن الله تعالى يُنجيّك من عذاب النار ويدخلك الجنة، نسأل الله أن يصلح لي ولكم الآخرة.

"واجعل الحياة زيادة لي في كل خير" إذا وفق الإنسان في هذا الحياة وصار يزداد خيرًا كل يوم يكتسب عملاً صالحًا ويحس بذلك في نفسه، وتجده يفرح إذا عمل عملاً صالحًا ويقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[الأعراف: ٤٣]. كل يوم يزداد، يصلي، يسبح، يقرأ، يأمر بالمعروف، ينهى عن المنكر، يلقى أخاه بوجه طلق، إلى آخره، من الأعمال الصالحة وهي خيرات كثيرة، فكلما ازداد الإنسان في حياته خيرًا كانت حياته خيرًا، ولهذا جاء في الحديث: "خيركم من طال عمره وحسن عمله"[1].

"واجعل الموت راحة لي من كل شر" الموت فقد الحياة، لكن دعا النبي ﷺ أن يجعل الله الموت له راحة من كل شر، لأن الإنسان لا يدري ما يصيبه في هذه الدنيا، قد يبقى في الدنيا طويلاً ولكنه ينتكس والعياذ بالله، يفسد دينه، قد يبقى في الدنيا وتحدث فتن عظيمة يتعب فيها يقول: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، يواجه فتنًا عظيمة، قد يكون الموت الذي عجله الله له راحة له من كل شر، ولهذا كان من دعاء

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٠)، والترمذي: كتاب الزهد، باب منه، رقم(٢٢٥٢).

الرسول ﷺ "واجعل الموت راحة لي من كل شر".

فعليك يا أخي المسلم بهذا الدعاء "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر".

* * *

١٤٧٣ – وعن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "قل: اللهم اهدني، وسدِّدْني"(١).

وفي رواية: "اللَّهُمَّ إني أسألك الهدى، والسَّدَادَ" رواه مسلم.

الشـرح

حديث علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ أمره أن يقول: "اللهم إني أسألك الهدى والسداد" أما الهدى فقد سبق الكلام على معناه، وأما السداد فهو تسديد الإنسان في قوله وفعله وعقيدته، والتسديد معناه أن يوفق الإنسان إلى الصواب، بحيث لا يضل وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ﴾ **أي صوابًا** ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١]. **ذكر الله تعالى في القول السديد فائدتين:**

الأولى: صلاح الأعمال.

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم(٤٩٠٤).

والثانية: مغفرة الذنوب.

فينبغي للإنسان أن يسأل الله هذا الدعاء "اللهم إني أسألك الهدى والسداد" أو يقول: "اللهم اهدني وسددني" المعنى واحد.

* * *

١٤٧٤ - وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ والجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الـمَحْيَا وَالمَمَاتِ". وفي رواية: "وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ"(١) رواه مسلم.

الشــرح

هذا من الأحاديث التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في باب فضل الدعاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: " اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل" العجز عدم القدرة، والكسل عدم الإرادة، وذلك أن الإنسان إذا لم يفعل فإما لعجزه عن الفعل لمرض، أو كبر أو غيره، وإما لعدم عزيمته وإرادته، فكان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من العجز والكسل.

"وأعوذ بك من الجبن والهرم والبخل" الجبن هو الشح بالنفس وألا يكون الإنسان شجاعًا فلا يقدم في محل الإقدام. والهرم الشيخوخة وأما البخل

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، رقم(٤٨٧٨).

فهو الشح بالمال، لا يبذل المال بل يمسكه حتى في الأمور الواجبة لا يقوم بها.

"وأعوذ بك من ضلع الدين وغلبة الرجال" فالدَّين - والعياذ بالله - هَمٌّ بالنهار وسهر بالليل، والإنسان المدين يقلق ويتعب، ولكن بشرى للإنسان أنه إذا أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، وإذا أخذها يريد إتلافها أتلفه الله.

فإذا أخذت أموال الناس بقرض أو ثمن مبيع أو أجرة بيت أو غير ذلك وأنت تريد الأداء أدى الله عنك، إما في الدنيا يعينك حتى تسدد، وإما في الآخرة، صح ذلك عن النبي ﷺ. أما المتلاعب بأموال الناس والذي يأخذها ولا يريد أداءها ولكن يريد إتلافها فإن الله يتلفه والعياذ بالله.

وكان من دعائه ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن" الحزن لما مضى والهم لما يستقبل، والإنسان إذا كان حزينًا فيما مضى مهتمًا لما يستقبل فإنه يتنكد عيشه، لكن إذا كان لا يهتم إلا بحاضره ويستعد لمستقبله على الوجه الذي أُمِرَ به كان ذلك سببًا في طمأنينته، فكان الرسول ﷺ يستعيذ بالله من الهم والحزن، كثير من الناس تجده يهتم اهتمامًا عظيمًا للمستقبل، اهتمامًا لا داعي له، فتتنكد عليه حياته ويتعب، وإذا وصل إلى حد الفعل وجده سهلاً، وكثير من الناس أيضًا لا ينسى ما مضى فيتجدد له الحزن، فيتعب

❊ ❊ ❊

١٤٧٥ - وَعَنْ أَبِي بكر الصدِّيقِ رضي الله عنه أنَّه قَالَ لِرَسول الله ﷺ: "عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو به فِي صَلاتِي، قال: "قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي،إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُور الرَّحِيم"(١) متفق عليه.

وفي رواية: "وَفي بَيْتي" وَرويَ: "ظُلْمًا كثيرًا" وروي "كَبِيرًا" بِالثاء المثلثة وبالباء الموحدة، فينبغي أن يُجمع بينهما، فيقال: كثيرًا كبيرًا.

الشـــرح

ساق المؤلف - رحمه الله - حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته.

وتأمل من هو السائل ومن هو المسئول، السائل هو أبوبكر رضي الله عنه، وهو أحب الناس إلى الرسول ﷺ، والمسئول هو النبي ﷺ، فسؤال من حبيب لحبيبه لابد أن يكون الجواب من أفضل الأجوبة، وقوله: "أدعو به في صلاتي" يُحتمل في السجود، أو بعد التشهد الأخير.

فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" هذا دعاء جامع نافع "اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" وهذا اعتراف من العبد بالظلم، وهو من وسائل الدعاء، أن يذكر الإنسان حاله لربه عزَّ وجلَّ

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الدعاء قبل ا لسلام، رقم(٧٩٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم(٤٨٧٦).

ضمن الدعاء، كما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] فتوسل إلى الله بحاله.

"ولا يغفر الذنوب إلا أنت" هذا ثناء على الله عزَّ وجلَّ واعتراف بالعجز وأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ١٣٥] . لو اجتمع الناس كلهم على أن يغفروا لك ذنبًا واحدًا ما استطاعوا، وإنما الذي يغفر لك هو الله عزَّ وجلَّ.

وقوله: "اغفر لي مغفرة من عندك" أضافها إلى الله لأنها تكون أبلغ وأعظم، فإن عظم العطاء من عظم المعطي.

"وارحمني" في المستقبل ووفقني لكلِّ خير.

"إنك أنت الغفور الرحيم" هذا توسل إلى الله عزَّ وجلَّ باسمين مناسبين للدعاء، لأنه قال: "اغفر لي وارحمني" فالمناسب "إنك أنت الغفور الرحيم" فينبغي للإنسان أن يقول هذا الدعاء في صلاته، إما في سجوده أو بعد التشهد الأخير. والله الموفق.

* * *

١٤٧٦ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِي ﷺ أنَّه كَانَ يَدعُو بهذا الدُّعاءِ: "اللَّهُمَّ اغْفِر لي خَطِيئَتي وَجَهْلي، وَإِسْرَافي في أمْري، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغفر لي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئي وعَمْدِي، وكلُّ ذلك عِنْدي، اللُّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا

أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المقَدِّم، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ"[١] متفق عليه.

١٤٧٧ – وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ في دُعائِهِ: "اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَـمْ أَعْمَلْ"[٢] رواه مسلم.

١٤٧٨ – وَعَنْ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ مِنْ دُعاءِ رَسُولِ الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ"[٣] رواه مسلم.

١٤٧٩ – وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَم رضي الله عنه قالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العجزِ والكَسْلِ، وَالْبُخْلِ وَالهرم، وَعذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خيرُ من زكَّاها، أَنتَ وليُّها ومَولاها، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِن نَفسٍ لا تَشبعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لها"[٤] رواه مسلم.

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ اللهم، رقم(٥٩١٩)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم(٤٨٩٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم(٤٨٩١).

(٣) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم(٤٩٢٢).

(٤) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عُمل ومن شر ما لم يُعمل، رقم(٤٨٩٩).

١٤٨٠ - وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ. فاغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الـمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الـمُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ[١]".

زادَ بَعْضُ الرُّواة: "وَلا حَوْلَ وَلا قوَّةَ إِلا بِالله" متفق عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث المتعددة ذكرها المؤلف - رحمه الله - في باب فضل الدعاء وتشتمل على جمل كثيرة، منها أن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن يغفر له ما قدّم وما أخّر، فقال: 'اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني" وهذا يغني عنه كلمة واحدة "اللهم اغفر لي ذنبي كله" لكن التفصيل في مقام الدعاء أمر مطلوب، لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل، مما أسرّ وأعلن وما علم وما لم يعلم، ولأنه أكثر من سؤال الله عزَّ وجلَّ ازداد تعلقًا بالله ومحبة له وخوفًا منه ورجاءً، فلذلك كان النبي ﷺ يُفَصِّل فيما يسأل ربه عزَّ وجلَّ من مغفرة الذنوب وغير ذلك.

وكذلك أيضًا استعاذ الرسول ﷺ من أمور كثيرة، من شر الذنوب وآفاتها وعذاب القبر وغير ذلك مما جاء في هذه الأحاديث، وهذه الأحاديث ينبغي للإنسان أن يكتبها عنده ويقيدها من هذا الكتاب ويذكر الله تعالى بها

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب التهجد بالليل، رقم(١٠٥٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم(١٢٨٨).

ويدعو بها حتى ينتفع، وأما قراءتها هكذا فهي حسنة ولا بأس بها، لكن خير من هذا أن تكتبوها من هذا الكتاب وتحفظوها ولا تذهب عن قلوبكم ثم تدعوا الله تعالى بها. والله الموفق.

* * *

١٤٨١ - وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ"[١].

رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لفظُ أبي داود.

١٤٨٢ - وعن زيادة بن عِلاقَةَ عن عَمِّه، وهو قُطبةُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخلاقِ، وَالأعْمَالِ، وَالأهْوَاءِ[٢]" رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٨٣ - وَعَنْ شَكَل بنِ حُمَيْدٍ رضي الله عنه قال: قلتُ يا رَسُول الله: عَلِّمني دُعَاءً قال: "قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ

---

(١) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم(١٣١٩)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم(٣٤١٧).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، رقم(٣٥١٥).

بَصَري، وَمِنْ شَرِّ لسَاني، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي[١]" رواه أبوداود والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٨٤ - وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ، والجُذام، وَسَيِّئِ الأسقامِ[٢]" رواه أبوداود بإسناد صحيح.

١٤٨٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ من الخِيَانَةِ، فَإِنَّها بئْسَتِ البِطَانَةُ[٣]". رواه أبوداود بإسناد صحيح.

١٤٨٦ - وعن علي رضي الله عنه أن مكاتبًا جاءه، فقال: إني عجزتُ عن كتابتي. فأعنِّي. قل: "اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ[٤]".

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٢٩)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم(١٣٢٧)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم(٣٤١٤)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر السمع والبصر، رقم(٥٣٤٩).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٩٢)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم(١٣٢٩).

(٣) رواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم(١٣٢٣)، والنسائي: كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع، رقم(٥٣٧٣)، وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع، رقم(٣٣٤٥).

(٤) رواه أحمد (١/ ١٥٣)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ، رقم(٣٤٨٦).

الشــرح

هذه جملة أحاديث من الأدعية التي كان النبي ﷺ يدعو بها، منها أنه كان ﷺ يعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء "الأمراض" كما في رواية أخرى.

"**سيئات الأعمال والأخلاق**" سيئات الأعمال هي المعاصي وسيئات الأخلاق هي سوء المعاملة مع الخلق.

"**والأهواء**": الإنسان له أهواء، فمن الناس من يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ومنهم من يكون هواه تبعًا لنفسه وما تهواه. و"**الأدواء**" فهي الأمراض، فهذه أيضًا مما ينبغي للإنسان أن يستعيذ بالله منها، فإذا أعاذه الله من ذلك حصل على خير كثير.

ومنها أنه كان ﷺ يستعيذ من البرص والجنون والجذام وسيء الأسقام، وهذه أيضًا من أمراض البدن والعقل – والعياذ بالله –.

الجذام هو مرض – والعياذ بالله – يصيب الإنسان في أطرافه أحيانًا فإذا بدأ بالطرف تآكل حتى يقضي على البدن كله، نسأل الله العافية، ولهذا قال العلماء إنه لا يجوز أن يخالط الجذماءُ الناس، وأنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص، وهو ما يعرف عند الناس اليومَ بالحجر الصحي، لأن هذا المرض والعياذ بالله "**الجذام**" من أشد الأمراض عدوى، يسري سير الهواء نسأل الله العافية.

"وسيء الأسقام" وهو جمع سقم وهو المرض، ويشمل هذا كل الأمراض السيئة ومنها ما عرف في الوقت الحاضر بالسرطان، نسأل الله العافية فإنه من أسوأ الأسقام. فمثل هذه الأحاديث ينبغي للإنسان أن يحرص عليها وأن يقتدي بالنبي ﷺ فيها.

ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يستعيذ بالله من الجوع ويقول: "إنه بئس الضجيع" ويستعيذ من "الخيانة فإنها بئست البطانة". فينبغي للإنسان أن يقيد هذه الأحاديث من هذا الكتاب في صحائف يختص بها ويحفظها شيئًا فشيئا، والله الموفق.

* * *

١٤٨٧ - وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ علَّم أباهُ حُصَينًا كَلِمَتَيْن يدعو بهما: "اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأعذني مِنْ شَرِّ نَفْسِي"[١].

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٨٨ - وَعَنْ أَبِي الفَضلِ العبَّاسِ بنِ عَبد المُطَّلب رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: عَلِّمْني شَيْئًا أَسألُهُ الله تَعالَى، قَالَ: "سَلُوا الله العَافِيَةَ" فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله: عَلِّمْني شَيْئًا أَسْأَلُهُ الله تَعَالى، قَالَ تعالى: "يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ الله، سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في جامع الدعوات، رقم(٣٤٠٥).

وَالآخِرَةَ[١]".

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٤٨٩ – وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قُلتُ: لأمِّ سَلَمة رضي الله عَنْها، يَا أُمَّ المؤمِنِينَ مَا كانَ أكثرُ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كان أكثرُ دُعائه: "يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي عَلَى دِينِكَ[٢]" رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٩٠ – وَعَنْ أَبِي الدَّرداءِ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: "كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حبَّكَ، وَحبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إليَّ مِنْ نَفْسي، وَأَهْلِي، وَمِنَ المَاءِ البارِدِ[٣]" رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

١٤٩١ – وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلِظُّوا بِيَاذا الجلالِ وَالإِكْرَامِ[٤]".

رواه الترمذي ورواه النسائي من رِواية ربيعة بن عامِرِ الصَّحابِيِّ[٥]،

---

(١) رواه أحمد (١/ ٨)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية، رقم(٣٥١٨).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١١٢)، والترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم(٢٠٦٦).

(٣) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم(٣٤١٢).

(٤) رواه أحمد (٤/ ١٧٧)، والترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٤٤٧).

(٥) النسائي: السنن الكبرى (٤/ ٤٠٩).

قال الحاكم[١]: حديث صحيح الإسناد.

"أَلِظُّوا" بِكَسْرِ اللاَّم وَتَشْدِيد الظَّاء المعْجَمَة مَعْنَاهُ: الْزمُوا هَذه الدَّعْوَةَ وَأَكْثِروا منها.

١٤٩٢ – وعن أبي أُمَامَة رضي الله عنه قَالَ: دَعَا رَسُولُ الله ﷺ: بدُعَاءٍ كَثِيرٍ، لَـمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شيئًا، قُلْنَا: يا رَسُول الله دَعوتَ بدُعَاءٍ كَثيرٍ لم نحفَظْ منه شيئًا، فقال: "أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَنْتَ الـمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّة إلا بالله[٢]" رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٤٩٣ – وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثم، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ[٣]".

رواه الحاكِمُ أبو عبدِ الله، وقال: حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم.

الشــرح

هذه أحاديث في بيان فضل الدعاء، الذي كان النبيُّ ﷺ يدعو به

(١) الحاكم: المستدرك (١/ ٦٧٦).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب منه، رقم(٣٤٤٣).

(٣) المستدرك الحاكم: المستدرك (١/ ٧٠٦).

ويأمر به، فمنها حديث عمران بن الحصين أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي" وفي رواية: "وقني شر نفسي". و"ألهمني رشدي" يعني اجعلني موفّقًا للرشد، والرشد ضد الغي، والغي هو المعاصي والشر والفساد، والإنسان إذا وفق إلى الرشد فإنه موفق، وهذا هو غاية المؤمنين الذي قال الله عنهم: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[الحجرات: ٧]. فهذا هو الرشد.

ومن ذلك أيضًا: أن النبي ﷺ سأله العباس عن شيء يدعو الله به، فقال: قل: "اللهم إني أسألك العافية" ثم جاءه بعد أيام فسأله – أي سأل النبي ﷺ – فقال: قل: "اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة"، والعافية هي السلامة من كل شر، وإذا وفقك الله لها وعافاك من كل شر، من شر الأبدان والقلوب والأهواء وغيرها فأنت في خير.

ومن ذلك أيضًا أن النبي ﷺ كان يكثر هذا الدعاء: "اللهم يا مقلّب القلوب ثبت قلبي على طاعتك" وقد مر بنا أنه ﷺ كان يدعو بدعاء آخر مقارب له، وهو "اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"، فإذا جمعت بينهما وقلت: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك، اللهم يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك" كان هذا خيرًا.

ومن ذلك أيضًا هذا الدعاء الذي أُثر عن داود عليه الصلاة والسلام: "اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يقربني إلى حبك" هذا أيضًا من الأدعية المهمة، إذا أحبك الله وأحببت من أحبّه الله، كنت من أوليائه، وكذلك إذا أحببت العمل الذي يحبه الله عزَّ وجلَّ فهذا أيضًا من الدعاء الذي ينبغي للإنسان أن يلزمه دائمًا. فإن حب الله عزَّ وجلَّ هو الغاية. كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

ومن ذلك أيضًا: "اللهم إني أسألك العزيمة من كل رشد، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، وأسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار" إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرها المؤلف، وقد سبق لنا أن ذكرنا أنه يُفَضَّل أن تكتب هذه الأحاديث وتقرأ؛ لأن حفظها في هذا الدرس قد يكون صعبًا على الإنسان، لكن إذا أخذها وحفظها شيئًا فشيئًا، هان عليه، والله الموفق.

* * *

٢٥١ ـ باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي – رحمه الله – باب فضل الدعاء بظهر الغيب – يعني الدعاء لأخيك – بظهر الغيب – أي في حال غيبته – وذلك أن الدعاء بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان، لأن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[1]" فإذا دعوت لأخيك بظهر الغيب بدون وصية منه كان هذا دليلاً على محبتك إياه، وأنك تحب له من الخير ما تحب لنفسك.

ثم استدل المؤلف – بثلاث آيات من كتاب الله تعالى، الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

---

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم(٤٩١٢).

ﭐلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠]. وهؤلاء هم الصنف الثالث من الأصناف الثلاثة، الذين قال الله فيهم: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]. فوصفهم الله بالهجرة والنصرة.

الصنف الثاني – قال الله فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: ٩] . وهؤلاء هم الأنصار، أنصار المدينة.

والصنف الثالث – ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] . وهذه دعوة لإخوانهم بظهر الغيب.

الآية الثانية: **قوله:** ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾. فأمر الله نبيه أن يستغفر لذنبه، وأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، وما أكثر الأحاديث التي فيها أن النبي ﷺ يستغفر لذنبه، ونحن نعلم أنه يستغفر للمؤمنين أيضًا لأنه أمر بذلك ومعنى ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾. يعني" اطلب المغفرة من الله – عزَّ وجلَّ – أن يغفر ذنبك، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه، لأن هذا هو الذي يدل عليه الاشتقاق، فإنه مشتق من المِغْفَر: وهو

وقاية الرأس بالبيضة المعروفة (الخوذة) توضع على الرأس عند القتال، فتقيه من السهام وتستره.

وأما الآية الثالثة: فقال الله تعالى إخبارًا عن إبراهيم ﷺ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١] . فقوله:﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾. هذا دعاء للمؤمنين بظهر الغيب.

إذن الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب من طرق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن سبيل الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك أننا ندعو لإخواننا في صلاتنا بظهر الغيب، كلنا يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وهذا دعاء، وقد قال النبي ﷺ: **"إنكم إذا قلتم ذلك، سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض**[١]**"** فأنت إذا قلت: **"السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"** فهذا دعاء لإخوانك بظهر الغيب.

* * *

١٤٩٤ – وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلاَّ قَالَ الملك وَلَكَ بِمِثْلٍ[٢]**" رواه مسلم.**

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب من سمى قومًا أو سلّم في الصلاة على غيره، رقم(١١٢٧).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم(٤٩١٢).

١٤٩٥ – وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: "دَعْوَةُ المرءِ الـمُسلم لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيْهِ بِخَيْرٍ قَالَ الـمَلَكُ الـمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ[1]" رواه مسلم.

الشــرح

ثم ذكر المؤلف – رحمه الله تعالى – حديث أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظَيْه أن الإنسان إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين. ولك بمثل، يعني: لك بمثل ذلك، فالملك يُؤمّن على دعائك إذا دعوت لأخيك بظهر الغيب ويقول: **"لك بمثل"** وهذا يدل على فضيلة هذا.

لكن هذا فيمن لم يطلب منك أن تدعو له، أما من طلب منك أن تدعو له، فدعوت له، فهذا كأنه شاهد، كأنه يسمع كلامك، لأنه هو الذي طلب منك، لكن إذا دعوت له بظهر الغيب بدون أن يخبرك، أو يطلب منك، فهذا هو الذي فيه الأجر، وفيه الفضل. والله الموفق.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم(٤٩١٤).

٢٥٢ ـ باب في مسائل من الدعاء

١٤٩٦ – عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضي الله عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ[١]".

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

الشـــرح

هذه مسائل مختلفة من أنواع الدعاء منها حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء" إذا صنع إليك إنسانٌ معروفًا بمال أو مساعدةٍ، أو عِلْمٍ، أو غير ذلك، فإن النبي ﷺ أمر أن تُكافئ صانعَ المعروف فقال: "من صَنع إليكم معروفًا فكافئوه[٢]".

والمكافأة تكون بحسب الحال، من الناس من تكون مكافأته أن تُعطيه مثل ما أعطاك أو أكثر، ومن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له ولا يرضى أن تُكافِئه بمال، فإنّ الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه، وشرف في قومه، إذا أَهدى إليك شيئًا، فأعطيتَه مثل ما أهدى إليك، رأى في ذلك قصورًا في حقه، لكن مثل هذا ادعُ اللهُ له "فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا

---

(١) رواه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الثناء بالمعروف، رقم(١٩٥٨).

(٢) رواه أبوداود: كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، رقم(١٤٢٤).

أنكم قد كافأتموه" ومن ذلك أن تقول له: "جزاك الله خيرًا" ، إذا أعطاك شيئًا، أو نفعك بشيء فقل له: "جزاك الله خيرًا" فقد أبلغت في الثناء، وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيرًا، كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة.

* * *

١٤٩٧ – وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لاَ تَدعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَولادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُم، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأَل فِيهَا عَطَاءً، فَيَسْتَجِيْب لَكُمْ[1]" رواه مسلم.

الشـرح

ساق المؤلف – رحمه الله تعالى – حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا على أولادكم، ولا على أموالكم" فإنه ربما يصادف ساعة إجابة فتُجاب، فهذا يقع كثيرًا عند الغضب، إذا غضب الإنسان، ربما يدعو على نفسه وربما يدعو على ولده، ويقول – مثلاً –: قاتلك الله، جزاك الله بسوء... وما أشبه ذلك، حتى إن بعضهم يدعو على ولده باللعنة، نسأل الله العافية، وكذلك نجد بعض الناس يدعو على أهله، على زوجته، على أخته، بل ربما دعا على أمه والعياذ بالله مع الغضب، وكذلك أيضًا يدعو على ماله، يقول مثلاً على سيارة يكثر عطلها: الله لا

(١) رواه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، رقم(٥٣٢٨).

يبارك في هذه السيارة، هذه الدار، هذا الفراش، وما أشبه ذلك، كل ذلك نهى النبي ﷺ أن ندعو عليها، لأنه ربما يصادف ساعة إجابة فإذا صادف ساعة إجابة فإنه يُستجاب. لو قلت – مثلاً – لولدك: تعال قاتلك الله، لماذا فعلت كذا وكذا، الله لا يوفقك، الله لا يربحك، الله لا يصلحك، كل هذا حرام لا يجوز، لأنه ربما تُصادف ساعة إجابة.

كذلك المال: المال الذي يتعسّر عليك، السيارة، أو الشغل في البيت، أو غير ذلك لا تدع عليه، لا تقل: الله لا يبارك في كذا. لكن قل: اللهم يسّر الأمر، اللهم سهّل حتى يحصل التسهيل والتيسير، والله الموفق.

* * *

١٤٩٨ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّه وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ[١]" رواه مسلم.

الشـــرح

ثم ساق المؤلف – رحمه الله تعالى – حديث أبي هريرة ففيه أن النبي ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء" الإنسان إذا كان يدعو الله تعالى، فإنه قريب من الله، والله تعالى قريب منه، كما قال جلّ وعلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، رقم (٧٤٤).

فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] . وأقرب ما يكون الإنسان من ربه إذا كان ساجدًا، وذلك لأن في السجود كمالَ الخضوع لله – عزَّ وجلَّ – لأنك تضع أشرف أعضائك وأعلى أعضائك في الأسفل، وفي موضع الأقدام تعظيمًا للرب – عزَّ وجلَّ –، فالله تعالى يقرب منك في هذا الحال وأنت تقرب من ربك، فأكثر من الدعاء في السجود سواءً كنت ساجدًا في فريضة أو نافلة، وسواءً كان الدعاء في أمور الدنيا أو في أمور الآخرة، فكله خير؛ لأن الدعاء نفسه عبادة، لو قلت: اللهم كثّر مالي، اللهم هيئ لي سكنًا جميلاً، اللهم هيئ لي سيارة مريحة، وما أشبه فهذا لا بأس به، حتى ولو كان في الفريضة: وقد جاء في الحديث"ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله[1]" شراك النعل: شيء زهيد ولكن اسأل الله كل شيء، لأن كل شيء تسأله الله فهو عبادة له، ثم اعلم أنك إذا سألت الله فإنك رابح في كل حال، لأنه إما أن يعطيك سبحانه وتعالى ما تسأل، أو يصرف عنك من السوء ما هو أعظم، أو يدّخر ذلك لك يوم القيامة أجرًا، فمن دعا الله تعالى فإنه لا يخيب، فأكثر من دعاء الله، وأكثر من استغفار الله، والتوبة إليه، فإن الرسول ﷺ يقول: "إنه لَيُغَانُ على قلبي وإني أستغفر الله وأتوب إليه مائة مرة[2]" وهو الذي قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر يستغفر الله، ويتوب إليه في اليوم مائة مرة، ولا تغفل عن هذا في اليوم فهذا أمرٌ يسير يعني لو قلت: أستغفر الله وأتوب

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ليسأل الحاجة مهما صغرت، رقم(٣٥٣٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم(٤٨٧٠).

إليه، تقولها مائة مرة خلال عشر دقائق أو أقل، فالأمر يسير وبه تحصلُ على خير وعلى الاقتداء بالرسول ﷺ، والله الموفق.

* * *

١٤٩٩ - وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "يُسْتَجَابُ لأَحْدِكُمْ مَا لَـمْ يَعْجَل: يَقُولُ: قَد دَعَوتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي[١]" متفق عليه.

وفي رواية لـمُسْلِم: "لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَـمْ يَدعُ بِإِثم، أَوْ قَطيعَةِ رَحِم، مَا لَـمْ يَسْتَعْجِلْ" قِيلَ: يَا رَسُول الله مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: "يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَم أَرَ يَسْتَجِيْبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءِ[٢]".

الشــرح

ساق المؤلف - رحمه الله تعالى - هذا الحديث في باب مسائل من الدعاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**يُستجاب لأحدكم** ما لم يعجل"، يعني أن الإنسان حري أن يستجيب الله دعاءه إلا إذا عجل، ومعنى العجلة فسّرها النبي ﷺ بأن الإنسان يقول: "دعوت ودعوت فلم

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم(٥٨٦٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، رقم(٤٩١٦).

(٢) رواه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، رقم(٤٩١٨).

أر من يستجيب لي"، فحينئذ يستحسر ويدع الدعاء، وهذا من جهل الإنسان، لأن الله سبحانه وتعالى لا يمنعك ما دعوتَه به إلا لحكمة أو لوجود مانع يمنع من إجابة الدعاء، ولكن إذا دعوت الله فادعُ الله تعالى وأنت مُغلّب للرجاء على اليأس وأحسن الظن بالله حتى يحقق لك ما تريد.

ثم إن أعطاك الله ما سألت فهذا المطلوب، وإن لم يُعطِك ما سألتَ فإنه يدفع عنك من البلاء أكثر، وأنت لا تدري، أو يدخر ذلك لك عنده يوم القيامة، فلا تيأس ولا تستحسر بل ادْعُ ربك، وما دام الدعاء عبادة فلماذا لا تكثر منه؟ نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه.

* * *

١٥٠٠ – وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الدعاء أَسْمَعُ؟ قال: "جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ الـْمَكْتُوبَاتِ[1]" رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٥٠١ – وعن عُبَادَة بنِ الصَّامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: ما عَلَى الأرضِ مُسْلِمٌ يدْعُو اللهَ تَعالى بدعوةٍ إلاّ آتاهُ اللهُ إيّاهَا، أو صَرَفَ عَنْه مِنَ السُّوءِ مثلَها. ما لم يدْعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ" فقال رجلٌ مِنَ القَوْمِ: إذًا نُكْثِر قال: "الله أكثر"[2].

---

(١) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم(٣٤٢١).

(٢) رواه الترمذي: كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم(٣٤٩٧).

رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ: وَرَوَاهُ الحَاكِمُ مِنْ رِوَايةِ أَبِي سعيدٍ، وَزادَ فيهِ: "أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلِهَا".

١٥٠٢ - وَعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا أَنّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: "لا إِلَهَ إِلا اللهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمُ، لا إله إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكريمُ[1]" متفق عليه.

الشــرح

هذه الأحاديث من بقية الأحاديث التي جمعها الحافظ النووي - رحمه الله - في هذا المقام منها الحديث الأول أن النبي ﷺ سُئل: أيُّ الدعاء أَسْمَعُ؟ يعني أي الدعاء أقربُ إجابة؟ فقال: "جوف الليل ودُبَر الصلوات المكتوبات" جوف الليل الآخر يعني آخر الليل، وذلك أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلثُ الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرُني فأغفر له؟ فينبغي للإنسان أن يجتهد بالدعاء في هذا الجزء من الليل، رجاء الإجابة.

الثانية: أدبار الصلوات المكتوبات، وأدبار الصلوات يعني أواخرها، وهذا قد أرشد إليه النبي ﷺ حين ذكر التشهد، ثم قال بعد ذلك: "ثم

---

(١) رواه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب، رقم(٥٧٨٠)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، رقم(٤٩٠٩).

ليتخيَّرْ من الدعاء ما يَشَاءُ[١]" وليس المراد بأدْبَار الصلوات ما بعدَ السلام، لأن ما بعد السلام في الصلوات ليس محلَّ دعاء إنما هو محل ذكر، لقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء: ١٠٣] . ولكن المراد بأدبار الصلوات المكتوبة أواخر الصلوات المكتوبة.

ثم ذكر المؤلف حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "أنه ما من مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، أو ادخر له من الأجر مثلها" وقد سبق لنا بيان هذا وبينا أنه لا يخيب من سأل الله. بل لابد أن يَحدُثَ له واحد من هذه الأمور الثلاثة إلا أن يدعو بإثم، أي بشيء محرم فإنه لا يُستجاب له، لأن الدعاء بالإثم ظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

وأما الحديث الأخير – حديث ابن عباس رضي الله عنهما – فهو في دعاء الكرب، أن النبي ﷺ كان يقول: "لا إله إلا الله العظيم الحليم. لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض، ورب العرش الكريم" فهذه الكلمات إذا قالها الإنسان عند الكرب كانت سببًا لتفريج كربه. والله الموفق.

* * *

(١) رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، رقم(٦٠٩).

٢٥٣ - باب كرامات الأولياء وفضلهم

قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]. **وقال تعالى:** ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى ﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٦].

الشـــرح

قال المؤلف الحافظ النووي - رحمه الله تعالى- باب كرامات الأولياء وفضلهم. الكرامة: هي كل أمر خارق للعادة، يظهره الله سبحانه وتعالى على يد متبعي الرسول ﷺ، إما تكريمًا له، وإما نصرة للحق.

والكرامات ثابتة بالكتاب، والسنة، والواقع. ولكن من هم الأولياء؟ الأولياء هم من بيّنهم الله في قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] . هؤلاء هم الأولياء، جمعوا بين الإيمان والتقوى، وليس الذين يدّعون أنهم أولياؤه وهم من أعدائه كما يُفعل في بعض البلاد، يأتي الرجل يدعي أنه وليٌّ، وهو عاصٍ فاسق يدعو الناس إلى أن يعبدوه ويطيعوه في كل شيء، ويدّعي أن الله قد أحلّ له كل شيء، حتى المحرمات أحلها الله له لأنه بلغ الغاية، هؤلاء ليسوا أولياء الله، هؤلاء أعداء الله، وليّ الله هو المؤمن التقي، كما في هذه الآية

الكريمة التي ساقها المؤلف ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ وسوف يذكر المؤلف – رحمه الله – الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، والواقع أيضًا.

والفرق بين الآية – آية النبي ﷺ – وكرامة الولي وشعوذة المشعوذ، أن آية النبي ﷺ أمر خارق للعادة يُظهره الله تعالى على يد النبي ﷺ تأييدًا له وتصديقًا له، مثل إحياء عيسى للموتى، حيث كان عيسى بن مريم عليه السلام يحيي الموتى، بل ويُخرجهم من القبور بعد الدفن كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ [المائدة: ١١٠]. فيقف على القبر ويدعو صاحبه فيخرج من قبره حيًّا، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين على صورة الطير، يعني يصنع شيئًا كصورة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا بإذن الله، يطير من بين يديه، كان بالأول طينًا فإذا نفخ فيه طار، هذا أيضًا من آيات الله. فآيات الأنبياء هي أمور خارقة للعادة، يُظهرها الله تعالى على أيديهم تأييدًا لهم.

أما كرامات الأولياء فهي أمور خارقة للعادة ولكنها لا تكون للأنبياء بل تكون لمتبعي الأنبياء، من ذلك مثلاً ما جرى لمريم بنت عمران: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣ – ٢٥]. هذه من آيات الله، كرامة لمريم، امرأة في المخاض تحت نخلة تهز الجذع، وهز الجذع ليس بالهين، هز رأس النخلة ممكن، لكن هز الجذع صعب، تهز الجذع ثم يتساقط الرطب من النخلة جنيًّا،

يعني لا يفسد إذا نزل إلى الأرض كأنه مخروف خرفًا، فهذه آية من آيات الله، وكذلك ما حصل لها من الحمل والولادة كله من آيات الله - عزَّ وجلَّ - كرامة لها، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١].

أما الثالث: الذي يظهره الله على يد المشعوذين الذين يستخدمون الجن، يظهرها الله - عزَّ وجلَّ - على أيديهم فتنة لهم وفتنة بهم، فإنه يوجد من الناس من يأتي بأشياء خارقة للعادة ولكنه ليس وليًّا، ومعلوم أيضًا أنه ليس بنبي لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ إذن فهي من الشياطين.

الأمر الرابع: ما يكون خارقًا للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الكاذب تكذيبًا له، مثل ما يُذكر عن مسيلمة الكذاب، وهو رجل ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ وقال: إنه نبي وتبعه من تبعه من الناس، وفي يوم من الأيام أتاه قومٌ أهل حرث يشكون إليه أن بئرهم قد غار ماؤها ولم يبق فيه إلا القليل، وطلبوا منه أن يأتي إلى البئر ويمج فيه من ريقه لعله يعود الماء، فذهب فأعطوه ماءً تمضمض به ثم مجّه في البئر، وكان في البئر شيء من الماء، ولما مجّه في البئر غار الماء كله ولم يبق شيء، فهذا ولا شك أنه آية خارق للعادة، ولكن الله سبحانه وتعالى جعله إهانة لذلك الرجل الكذاب وإظهارًا لكذبه.

فهذه أربعة أشياء: آية النبي، وكرامة الولي، وشعوذة المشعوذ، وإهانة الكذاب المفتري، كلها أمور خارقة للعادة، لكن تختلف بحسب مَن أظهرها الله على يديه، ويأتي إن شاء الله الكلام على الآيات التي ذكرها المؤلف.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

الشــرح

قال المؤلف – رحمه الله تعالى – في باب كرامات الأولياء وفضلهم، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٢ – ٦٣]. وتقدم الكلام على أولها وأن الله تعالى بين أن أولياءه هم المؤمنون المتقون ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾. وقد أخذ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – من هذه الآية عبارة قال فيها "من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا" فيقول الله – عزَّ وجلَّ -: إن هؤلاء الأولياء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. لا خوف عليهم فيما يستقبل من أمرهم، ولا هم يحزنون على ما مضى من أمرهم، لأنهم أدركوا معنى الحياة الدنيا فعملوا عملاً صالحًا وآمنوا بالله واتقوه فصاروا من أوليائه، ثم قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾. البشرى تعني البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

والبشارة في الحياة الدنيا أنواع:

فمنها: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له يعني يرى في المنام ما يسره، أو يرى له أحد من أهل الصلاح ما يسره، مثل أن يرى أنه يبشر بالجنة، أو يرى أحد من الناس أنه من أهل الجنة، أو ما أشبه ذلك، أو يُرى

على هيئة صالحة، المهم أن النبي ﷺ قال في الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له: "تلك عاجل بشرى المؤمن[١]".

ومنها: أن الإنسان يُسَرُّ بالطاعة، ويفرح بها وتكون قرة عينه، فإن هذا يدل على أنه من أولياء الله. قال النبي ﷺ: "من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلك المؤمن[٢]" فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية فهذه بشرى لك، أنك من عباد الله المؤمنين ومن أوليائه المتقين، ولهذا قال النبي ﷺ: "وجعلت قرة عيني في الصلاة[٣]".

ومن ذلك أيضًا أن أهل الخير يثنون عليه ويحبونه ويذكرونه بالخير، فإذا رأيت أن أهل الخير يحبونك ويثنون عليك بالخير، فهذه بشرى للإنسان أنه يُثنى عليه من أهل الخير، ولا عبرة بثناء أهل الشر ولا قدحهم، لأنهم لا ميزان لهم ولا تقبل شهادتهم عند الله، لكن أهل الخير إذا رأيت أنهم يثنون عليك وأنهم يذكرونك بالخير ويقربون منك ويتجهون إليك، فاعلم أن هذه بشرى من الله لك.

ومن البشرى في الحياة الدنيا: ما يبشر به العبد عند فراق الدنيا، حيث تتنزل عليه الملائكة ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ

---

(١) رواه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، رقم(٤٧٨٠).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٨)، والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم(٢٠٩١).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٨٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم(٣٨٧٨).

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ومن البشارة أيضًا: أن الإنسان يُبشر عند موته بشارة أخرى، فيقال لنفسه: اخرجي أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى رحمة من الله ورضوان، فتفرح وتسر.

ومن ذلك أيضًا: البشارة في القبر، فإن الإنسان إذا سُئل عن ربه ودينه ونبيه وأجاب بالحق، نادى مناد من السماء أن صَدَق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة.

ومنها أيضًا: البشارة يومَ الحشر، تتلقاهم الملائكة ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] . و ﴿ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ .

فالحاصل أن أولياء الله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٤].

يعني لا أحد يُبدّل كلمات الله تعالى: أما الكونية فلا يستطيع أحد أن يبدلها، وأما الشرعية فقد يُحرّفها أهل الباطل، كما فعل اليهود والنصارى في كتبهم، فقد حرفوها وبدلوها وغيروها، وأما الكلمات الكونية فلا أحد يبدلها: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ والله الموفق.

* * *

وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]. **وقال تعالى:** ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٦ – ١٧].

الشـــرح

تقدم لنا الكلام على كرامات الأولياء وأنها – أي الكرامات – كل أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد الولي تكريمًا له أو نصرةً لدين الله، وذكرنا أن هناك آيات، وهناك شعوذة، وهناك إهانات، أربعة أشياء كلها تخرج عن العادة وبيناها فيما سبق.

واعلم أن كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه هذا الوليُّ، لأن هذا الولي الذي اتبع هذا النبي إذا أُكرم بكرامة فهي شهادة من الله سبحانه وتعالى على صحة طريقته، وعلى صحة الشرع الذي اتبعه، ولهذا نقول: كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه.

ثم ذكر المؤلف آيات فيها كرامات منها: قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧] . مريم ابنة عمران نذرتها أمها: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى

مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾. [آل عمران: ٣٥ - ٣٧]. فزكريا إذا دخل على مريم المحراب - أي مكان صلاتها - وجد عندها رزقًا أي وجد عندها طعامًا لم تجر العادة بوجوده فيقول: أَنَّى لك هذا؟ من جاء به؟ قالت: هو من عند الله، لم تَقُلْ جاء به فلان أو فلان، بل هو من عند الله - عزَّ وجلَّ - والله تعالى على كل شيء قدير. يأتي بهذا الرزق من عنده، لا من سعي بشر، ولكنه من عند الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.

وعندئذ دعا زكريا ربه وكان قد بلغه الكبرُ. ولم يأته أولاد فقال: إن الله على كل شيء قدير، واستدل بقدرة الله الذي جاء بهذا الرزق إلى مريم بدون سبب بشري، فاستدل بذلك على كمال قدرة الله، فدعا ربه أن يرزقه ولدًا فجاءه الولد. وفيه أيضًا كرامات لذلك، فمريم رضي الله عنها لها كرامات منها هذه المسألة، رزقها يأتي من عند الله لا يُشترى من السوق ولا يأتي به فلان أو فلان، بل من عند الله.

ومن الكرامات أيضًا ما وقع لأصحاب الكهف، والكهف هو غار فسيح في الجبل وكان هؤلاء القوم سبعة رجال، رأوا ما عليه أهل بلدتهم من

الشرك والكفر ولم يرضوا بذلك، فاعتزلوا قومهم وهاجروا من بلدهم لأنها بلد شرك وكفر فاعتزلوا قومهم ولجأوا إلى غار، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ [الكهف: ١٣ – ١٦]. يعني لما اعتزلوهم وشركهم أُمِرُوا أن يأووا إلى الكهف ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]. ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ اذهبوا إلى الكهف، وهذا الكهف كما قلنا هو: غار في الجبل، ذهبوا إليه، وهذا الغار وجهه إلى الشمال الشرقي بحيث لا تدخل الشمس عليه لا أول النهار ولا آخره، يسّره الله لهم، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٤].

وهؤلاء خرجوا يريدون وجه الله، فيسّر الله أمرهم، أووا إلى الكهف وألقى الله عليهم النوم، قال الله تعالى موضحًا هذا: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٧]. يعني لا تدخل عليهم الشمس دخولاً كاملاً فيصيبهم الحر لكن تقرضهم، شيء يسير يأتيهم من الشمس لكي لا يتبخر الغار فيفسد، يدخل عليه من الشمس بقدر الحاجة فقط ﴿ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٧]. أي: في

مكان متسع كما جاء في الحديث: "فإذا وجد فجوة..[1]" أي: شيئًا متسعًا، هم في مكان متسع من الغار، ذلك من آيات الله أن يسّر الله لهم هذا المكان، لما دخلوا في هذا المكان آمنين متوكلين على الله – عزَّ وجلَّ مفوضين أمرهم إليه، ألقى الله عليهم النوم فناموا، كم ناموا؟ يومًا.... يومين.... ثلاثة؟ لا، ناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين وهم نائمون لا يستيقظون من حر، ولا برد، ولا جوع، ولا عطش، هذا من كرامات الله هل يبقى الواحد منا ثلاثة أيام نائمًا لا يجوع ولا يعطش، ولا يحتر، ولا يبرد؟ لا؛ أما هؤلاء فقد بقوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنين ﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ [الكهف: ٢٥].

ويقول الله – عزَّ وجلَّ – ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨] . الله – عزَّ وجلَّ – هو الذي يقلبهم، لماذا لم يقل: يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال، بل قال ﴿ نُقَلِّبُهُمْ ﴾؟ لأن النائم لا فعل له، مرفوع عنه القلم، حتى لو فعل ليس من فعله، ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨]. عند الباب يحرسهم بإذن الله – عزَّ وجلَّ –، وإنما قلّبهم الله تعالى لأنهم لو بقوا هذه المدة الطويلة على جنب واحد لفسد الدم ولم يتحرك، لكن يقلبون ذات اليمين وذات الشمال، إذا رآهم الإنسان حسبهم أيقاظًا يعني ليس على وجوههم وجه النائم، (وهم رقود) نائمون، وألقى الله عليهم

---

(١) رواه البخاري: كتاب الحج، باب السير إذا دفع من عرفة، رقم(١٥٥٥)، ومسلم: كتاب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة، رقم(٢٢٦٣).

المهابة العظيمة ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [الكهف: ١٨] . لولّيت منهم فرارًا ببدنك ولملئت منهم رعبًا بقلبك، القلب يفزع والبدن يهرب، لئلا يحوم أحد حولهم فيوقظهم، ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أكرمهم بهذا وكرامات أصحاب الكهف كثيرة نقتصر منها على هذا، نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أوليائه المكرمين إنه على كل شيء قدير.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف: ١٦ – ١٧].

الشـــرح

ذكر المؤلف الحافظ النووي – رحمه الله تعالى – في باب كرامات الأولياء وفضلهم عدة آيات تشتمل على كرامات الأولياء، ومنها قصة أصحاب الكهف، وكانوا فتية آمنوا بالله واعتزلوا قومهم، وخرجوا من بلدهم فهيأ الله لهم كهفًا، يعني غارًا واسعًا في الجبل، فدخلوا فيه فألقى الله عليهم النوم، فناموا ثلاثمائة وتسع سنين، لم يحتاجوا إلى أكل ولا شرب ولم تتأثر أبدانهم، وكان الله تعالى يقلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وهذه من كرامات الله لهم، أن الله تعالى هيأ لهم مقرًا آمنًا، حتى إن الله يقول:

ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾ [الكهف: ١٨] . لا أحد يحوم حولهم.

ومن كرامات الله لهم أنهم بقوا هذه المدة الطويلة ولم يتغير منهم ظفر ولا شعر ولا غيره، مع أن العادة أن الشعور تطول، والأظفار تطول، لكن هؤلاء لم تطل شعورهم ولا أظفارهم وكأنهم ناموا بالأمس.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ ﴾ [الكهف: ١٩] . وإنما قالوا ذلك لأنهم لم يتغير منهم شيء، وأما ما ذكر بعض الناس أنهم طالت أظفارهم وشعورهم فهذا خطأ، لأنه لو كان كذلك لعرفوا أنهم بقوا مدة طويلة ولكنهم لم يتغيروا.

ومن كرامات الله لهم أن الله أبقاهم على هذه النومة حتى أبدل الله تعالى مَلِكَهم الظالم بملك صالح، ولما استيقظوا بعثوا واحدًا منهم إلى البلدة ليأتي بطعام لهم، وكان معهم نقود قديمة من النقود التي مر عليها ثلاثمائة وتسع سنين فلما جاءوا يشترون من البلدة ودفعوا النقود تعجب أهل البلدة، من أين هذه النقود؟! حتى أطلع الله الناس عليهم، فهذا من كرامات الله لهم ويحسن أن تُجمع هذه الآيات وغيرها وتُتأمل ويستخرج ما فيها من الكرامات الدالة على قدرة الله – عزَّ وجلَّ –، وعلى أنه تبارك وتعالى أكرمُ من خلقه، إذا تعبّد الإنسانُ له بما يُرْضِي اللهُ، أعطاه الله تعالى ما يَرْضَى. والله الموفق.

* * *

١٥٠٣ – وَعَنْ أَبِي مُحمّد عَبْدِ الرَّحمنِ بن أَبي بَكْرٍ الصِّدّيقِ رضي الله عَنْهما أَنَّ أصحاب الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال مَرَّةً: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلَيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ" أَوْ كَمَا قَالَ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أَو مَا عشيّتهم؟ قَالَت: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ وَقَدْ عَرضُوا عَلَيْهِمْ قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا، فاختبَأتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لا هَنِيئًا، والله لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: وَايمُ الله ما كُنَّا نَأْخُذُ منْ لقمَةٍ إلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْل ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لامْرَأَتِهِ يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي لَهِيَ الآن أكثرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلاَثِ مَرَّاتٍ! فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ – يَعني يَمِينَهُ – ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لقمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبيِّ ﷺ فَأَصْبَحت عِنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْم عَهْدٌ، فَمَضَى الأجَلُ، فَتَفَرَّقنَا اثني عَشَرَ رَجُلاً، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُم أُنَاسٌ، الله أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ[1].

وفي رواية: فَحَلَفَ أَبُو بَكْر لا يَطْعَمُه، فَحَلَفَتِ المَرأَةُ لا تَطْعَمُه،

---

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، رقم(٥٦٧)، ومسلم: كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم(٣٨٣٣).

فَحلَفَ الضَّيفُ – أو الأضْيَافُ – أَنْ لا يَطعَمَهُ، أَوْ يَطْعَمُوه حَتَّى يَطعَمَه، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هذه مِنَ الشَّيْطَانِ! فَدَعَا بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إلاَّ رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيني إنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ نَأكُلَ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إلى النَّبيِّ ﷺ فَذَكَرَ أنه أَكَلَ مِنْهَا[1].

وفي رواية: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمنِ: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَافْرُغْ مِنْ قِرَاهُم قَبْلَ أَنْ أَجِيء، فَانطَلَقَ عَبْدُ الرَّحمنِ، فَأَتَاهم بِمَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا، فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّ مَنْزِلَنا؟ قَالَ:اطْعَمُوا، قَالُوا: مَا نَحْنُ بِآكلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلَنَا، قال: اقبَلُوا عَنَّا قِرَاكم، فإِنَّه إنْ جَاءَ وَلَـمْ تَطْعَمُوا، لَنلقَيَنَّ مِنْهُ فَأَبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّه يَجِد عَلَيَّ، فَلَمَّـا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُم؟ فَأَخبرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمن فَسَكَتُّ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمن، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنثر أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسمَعُ صَوتي لـما جِئْتَ! فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سلْ أَضْيَافَكَ، فَقَالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ، فقال: إنَّما انتظَرْتُمُوني والله لا أطعمُه اللَّيْلَةَ، فَقَالَ الآخرُونَ: وَالله لا نَطعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ مَالَكُم لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَه فَقَالَ: بِسم الله الأولى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وأَكَلُوا[2]. متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب قول الضيف لصاحبه لا آكل حتى تأكل، رقم(٥٦٧٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب ما يُكره من الغضب والجزع عند الضيف، رقم(٥٦٧٥).

قوله: "غُنْثَر" بغين معجمة مضمومة، ثم نونٍ ساكنة، ثم ثاء مثلثة وهو: الغبي الجاهل، وقوله: "فجدَّعَ" أي: شَتَمه، والجدع: القطعُ، قوله: "يجِدُ عليَّ" هو بكسر الجيم، أي: يَغْضَبُ.

الشـــرح

هذه القصة في باب كرامات الأولياء التي رواها أنس عمّا حصل من النبي ﷺ، وذلك أن قومًا من المهاجرين، كانوا يأتون إلى المدينة وهم فقراء ليس عليهم إلا ثيابهم وليس عندهم شيء، وكان في المسجد صُفَّة يأوون إليها، ثم يُيسر الله لهم من يأتي إليهم ويحملهم معه إلى بيته ويطعمهم، وفي ذات ليلة قال النبي ﷺ: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس"، وهكذا، أي أمر أصحابه أن يحملوا معهم أصحاب الصفة ليطعموهم، وكان النبي ﷺ أكرم الناس، ذهب بعشرة ﷺ، وذهب أبو بكر بأربعة، وذهب الناس بعضهم بثلاثة، وبعضهم بأربعة، حسب حالهم.

أبو بكر رضي الله عنه ذهب بأضيافه إلى بيته وأوصى ابنه عبد الرحمن أن يقوم بضيافتهم، وانطلق هو إلى النبي ﷺ لأنه رضي الله عنه كان أشد الناس ملازمة للرسول ﷺ، يكون معه دائمًا، فذهب إلى النبي ﷺ وتعشّى عنده، ثم رجع إلى أهله وقد مضى شيء من الليل، فسألهم: أطعمتم أضيافكم؟ فقالوا: لا، فظن أنهم هم الذين تأخروا عن أضيافهم حتى يأتي أبو بكر رضي الله عنه فجعل يسب ويجدع، يعني معناه أنه اشتد في سبه،

ونادى ابنه عبد الرحمن، يا عبد الرحمن، فلم يُجبه، خوفًا منه لأنه رضي الله عنه كان شديدًا على أهله في تأديبهم، فلم يُجبْه خوفًا من أن يتكلم عليه، أو ما أشبه ذلك، حتى أقسم عليه أنه إذا كان يسمعه فليجبه، فأجابه، فقال لهم: لماذا أخّرتم ضيافة القوم؟

قالوا: اسأل أضيافك، فسألهم، قالوا: نعم، هم عرضوا علينا الضيافة، ولكننا أبينا حتى تأتي، فأقسم رضي الله عنه أن لا يأكل، قال: والله ما آكل، يعني أنكم تأخرتم من أجلي إذن أنا لا آكل، فأقسم أن لا يأكل، فأقسم الأضياف أن لا يأكلوا، إكرامًا له، فصار عندنا الآن قَسَمان، قَسَم أبي بكر رضي الله عنه أن لا يأكل، وقَسَمَ الأضياف أن لا يأكلوا، فأيهم أولى؟ أن نُبرّ بقسم أبي بكر ويأكل الأضياف؟ أم بقسم الأضياف ولا يأكلون، الثاني أولى، فقال رضي الله عنه: إنما ذلك من الشيطان، يعني كونه يحلف أن لا يأكل؟ هذا من الشيطان، ثم أكل وأكل الأضياف، لكن الكرامة التي حصلت أن الواحد منهم إذا أخذ لقمةً من الإناء ارتفع الإناء، صار بدل اللقمة أكثر منها في نفس الإناء، من أين جاء هذا؟ من الله – عزَّ وجلَّ – كرامة لأبي بكر رضي الله عنه لأنه أفضل أولياء هذه الأمة على الإطلاق لأنه خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ثم انتهوا فبقي في الإناء أكثر مما كان فيه من قبل، فأخذه أبو بكر وذهب به إلى النبي ﷺ، ودعا النبي ﷺ إليه أقوامًا فأكلوا.

وإنما حمله أبو بكر ليريه النبي ﷺ وكيف كان هذا الأمر من عند الله – عزَّ وجلَّ – الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

الشاهد من هذا الحديث: هذه الكرامة لولي من أولياء الله وهو أبو بكر رضي الله عنه ونحن نشهد أنه ولي من أولياء الله، وأنه أفضل أولياء الله على الإطلاق ما عدا النبيين والمرسلين، لأنه رضي الله عنه من الصديقين يعني في المرتبة الثانية من صالح الأمم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

فهو رضي الله عنه أفضل الصديقين منذ خلق الله آدم إلى يوم القيامة، وهو من أولياء الله، وهذه من كرامته رضي الله عنه وفي الحديث فوائد كثيرة.

أن فيه دليلاً على فضيلة أبي بكر رضي الله عنه وأنه من أولياء الله، وذكرنا أن أبا بكر هو أفضل أولياء الله بعد النبيين، لأن أبا بكر من الصديقين الذين هم في المرتبة الثانية من أصناف الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا غضب بسبب يقتضي الغضب فإنه لا يلام غليه، لأن أبا بكر رضي الله عنه غضب فسب وجدع، وحتى أن ابنه عبد الرحمن اختفى منه، خوفًا منه، وجعل ينادي ويقول: "يا غنثر" والغنثر هو الغبي الجاهل فهذا دليلٌ على أن الإنسان إذا غضب لسبب يقتضي الغضب فإنه لا يُلام عليه، ولا يَخدش من فضله ولا مرتبته.

وفيه أيضًا: أنه لا بأس أن الإنسان يصف ابنه أو من له ولاية عليه بالغباوة والجهل إذا فعل فعلاً يقتضي أنه غبي جاهل.

وفيه:أن من عادة الناس، حتى في العهد القديم، أن الضيف والمضيف يحصل منهم الحلف والأيمان، مثل: والله تأكل، والله ما آكل، والله

تدخل، والله ما أدخل، ولكنهم يحلفون بالله، أما ما يفعله كثير من الجهلة اليوم، يحلفون بالطلاق فهذا غلط، كثير من أهل البادية إذا نزل به ضيف، وخاف الضيف أن صاحب البيت يذبح له ذبيحة، قال: علي الطلاق، وعلي الحرام، وامرأتي كأمي - والعياذ بالله - إن ذبحت لي ذبيحة، وهذا حرام، لا يجوز، "من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت[1]". أما الحلف بالله فهذا قد جرت به العادة قديمًا، وهو من عادات العرب وشِيَمهم، ومع هذا الأفضل أنك إذا حلفت على إنسان أن تقرنها بكلمة "إن شاء الله" تقول: والله إن شاء الله، لأنك إذا قلت: والله إن شاء الله استفدت فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: أن الله يُيسّر لك الأمر.

الفائدة الثانية أنه إذا لم يتيسر، لم يكن عليك كفارة، فاقرن يمينك دائمًا، بقول: إن شاء الله حتى تسلم من الحنث وحتى يتيسر لك الأمر.

ألم يأتكم نبأ سليمان نبي الله عليه الصلاة والسلام؟ قال في يومٍ من الأيام: والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله، يعني يجامع تسعين امرأة، كل امرأة تلد غلامًا يقاتل في سبيل الله، انظر كيف كان الأنبياء يحبون القتال في سبيل الله، تمنى أن يرزقه الله هذا العدد الكبير من الأولاد ليقاتلوا في سبيل الله، لم يقل ليعينوه على التجارة، أو الحراثة، أو أمر من أمور الدنيا، بل قال: «يقاتلون في سبيل الله»، فقيل له: قل: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، لأنه جازم وعازم لكن ﴿ وَمَا

(١) رواه البخاري: كتاب الشهادات، باب كيف يستحلف، رقم(٢٤٨٢).

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾، فجامع تسعين امرأة تلك الليلة، وقد أعطاه الله قوة، فما الذي حدث؟ ولدت واحدة فقط منهن نصف إنسان أي مشلول، - سبحان الله العظيم -، إنها آيةً من آيات الله ليريه الله – عزَّ وجلَّ – أن الأمر بيد الله – عزَّ وجلَّ.

قال نبينا محمد ﷺ: لو قال: "إن شاء الله، لم يحنث وكان دركًا له في حاجته(١)"، يعني لو قال: إن شاء الله لسهل الأمر.

والنبي ﷺ لما جاءه قريش، قالوا: أخبرنا عن قوم كانوا في الزمن الأول خرجوا من بلادهم وكانوا في غار، أو قالوا حدثنا عن ذي القرنين، قال: غدًا أحدثكم، والنبي ﷺ لا يدري ما قصتهم لأنه لا أدركها ولا هناك تواريخ موثوقة، فقال: غدًا أخبركم، جاء الغد وما نزل عليه الوحي، لأن رسول الله ﷺ يعلم أن الوحي ينزل عليه بالليل، ما نزل الوحي، واليوم الثاني ما نزل الوحي، الثالث، الرابع، الخامس، مضى خمسة عشر يومًا، وما نزل عليه الوحي، وهذا سيكون شديدًا على الرسول ﷺ لأنه وعد قريشًا – أعداءه – أنه سوف يخبرهم في الغد، ولم يخبرهم، فأنزل الله القصة وقيل له: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾(٢) [الكهف: ٢٣ – ٢٤]. فالأمر بيد الله، لهذا نقول: إن أردت أن تحلف، أي حَلفٍ على نفسك، على أولادك، على ضيفك على أي إنسان، أَقْرِنْ ذلك بكلمة – إن

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان، باب الاستثناء في الأيمان، رقم(٦٢٢٥)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم(٣١٢٤).

(٢) «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٢٨)، و«الدر المنثور» (٥/ ٣٥٨)، و«فتح الباري» (٨/ ٧١٠).

شاء الله- لتحصل على هاتين الفائدتين، وهما، التيسير، أن الله ييسر الأمر ويعطيك ما حلفت عليه، والثانية أنه لو اختلفت الأمور فإنه لا كفارة عليك. والله الموفق.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الإنسان إذا حلف على شيء، ثم رأى غيره خيرًا منه، فإنه يكفر عن يمينه ويفعل ما هو خير، وهذا قد دل عليه حديث صريح عن النبي فقال: "إني – والله – إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني" أو قال: "إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير[1]" فإذا حلفتَ أن لا تكلم فلانًا فالأفضل أن تحنث، وتُكفّر عن يمينك وتكلمه، وإذا صار بينك وبينه شيء، وقلت: والله ما أطرق عليه البيت، ولا أزوره، قلنا له، زره وكفر عن يمينك ما لم يكن في ذلك إثم، وكذلك إذا حلف الإنسان على ولده إن فعل شيئًا أن لا يكلمه، ففعل الولد الشيء، فليكلمه وليكفّر عن يمينه، المهم أنك إذا حلفت على شيء ثم رأيت أن الخير في عدم وفائك باليمين، فلا تَفِ بيمينك وكفِّر عنه.

ومن فوائد الحديث أيضًا: أن الإنسان إذا حلف على شخص يريد إكرامه، ثم لم يفعل فإنه لا كفارة عليه، لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يكفر عن يمينه، يعني لم يُنقل أنه كَفّر، هكذا استدلّ بعض العلماء بهذا الحديث، لكنه

(١) رواه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو، رقم(٦١٣٣)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها، رقم(٣١٠٩).

استدلال ضعيف لأن حديث أبي بكر هذا ليس فيه أنه كَفّر ولا أنه لم يكفر.

فهو إذًا محتمل أن يكون كفر ولم يذكر، ومحتمل أن يكون لم يكفر، لكن عندنا نصوص بينة واضحة على أن من حنث في يمينه فعليه الكفارة، سواء كان الحنث من فعله أو من فعل غيره، وعلى هذا فنقول: إذا حلفت على شخص إكرامًا له ولم يفعل فعليك الكفارة، مثال ذلك، وقفت أنت وشخص عند الباب في دعوة دعاكما إليها صاحب البيت ففتح الباب، فقال لك: ادخل، قلت: والله ما أدخل، والله تدخل أنت، قال: لا أدخل، فهنا نقول: إذا دخلت فإنك تكفر عن يمينك وإن كان حلفك من أجل الإكرام لكنك حنثت، فإذا حنثت في يمينك فعليك الكفارة سواء كان ذلك إكرامًا أو حنثًا أو غير ذلك.

فإذا قال قائل: أبو بكر رضي الله عنه هو الذي حلف أولاً وكان على الضيوف أن يبروا بيمينه، ولكنهم حلفوا، فإذا تحالف اثنان، أحدهم يقول كذا، والثاني يقول كذا، فأيهما أولى؟ قلنا: الأولى أن يكون الذي حلف الأول هو الذي تُبر يمينه، لأنه أسبق وقد أمر النبي ﷺ بإبرار القسم، فعلى هذا فيكون الثاني هو الذي حصل منه نوع الخطأ، فإذا قلت: والله لتفعلن كذا فقلت أنت: والله لا أفعله، فأيهما الذي تسري يمينه الأول أم الثاني؟ الأول؛ لأنه هو الذي حلف أولاً، لكن أبا بكر رضي الله عنه من تواضعه، أكل من أجل إكرام الضيوف.

وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه من الفوائد: أن الإنسان ينبغي له أن يكرم الضيف، بل إن إكرام الضيف من تمام الإيمان، لقول النبي ﷺ: "من

كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[١]" وحق الضيافة الواجب يوم ليلة، وثلاثة أيام سنة، وما زاد على ذلك فهو أمر مباح، لكن الواجب يوم وليلة، وقد قيد بعض العلماء هذا فيما إذا كان البلد ليس فيها مطاعم، أما إذا كان فيها مطاعم فلا يجب عليك، ولكن تعينه بما تيسر من النقود، والصحيح في هذه المسألة أن الناس يختلفون، من الناس أي من الضيوف من يرى أن ذهابه إلى المطعم فيه إهانة، فهذا لابد **أن** تضيفه في بيتك، ومنهم من يكون الأمر عنده سواء فهنا لا حرج عليك أن تقول: يا أخي هذه دراهم اذهب إلى المطعم الفلاني، كذلك أيضًا إذا كانت البلد فيها فنادق، فإنه في هذا الحال لو قيل بأنه لا يجب كما قال بعض أهل العلم، لكان له فرجه لأن الفندق يأتي إليه الشريف والوضيع وكل أحد، لكن لا شك أن الإنسان إذا قصدك وأتى إلى بيتك وقال: أنا ضيفك، أن الأولى أن تضيفه، إلا أن يكون عليك في ذلك ضرر أو تفويت مصالح أهم، فلكل مقام مقال. والله الموفق.

* * *

١٥٠٤ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فإن يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ، فَإِنَّهُ عُمَرُ" رواه البخاري[٢] ورواه مسلم من رواية عائشة[١]، وفي روايتهما قال

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ، رقم(٥٥٥٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت، رقم(٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم(٣٤١٣).

ابن وهب "محدَّثون" أي: مُلْهَمُون.

الشــرح

ساق المؤلف – رحمه الله – حديث أبي هريرة في كرامةٍ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال النبي ﷺ: "كَان فيما كان قبلكم محدثون" – يعني: ملهمون للصواب، يقولون قولاً فيكون موافقًا للحق، وهذا من كرامة الله للعبد أن الإنسان إذا قال قولاً، أو أفتى بفتوى، أو حكم بحكم تبين له بعد ذلك أنه مطابق للحق، فعمر رضي الله عنه من أشد الناس توفيقًا للحق، كما سيأتي إن شاء الله تعالى فيما سيذكره المؤلف من أمثلة لذلك، قال النبي ﷺ: "فإن يكن فيكم مُحدَّثون فعمر" يعني إن كان فيكم مُحَدَّثون فعمر، ويحتمل قوله: "إن يكن فيكم" أنه خطاب لقوم مجتمعين ليس فيهم أبو بكر وَيُحتمل أنه خطاب للأمة كلها، ومن بينهم أبو بكر رضي الله عنه، فإن كان الأول فلا إشكال، وإن كان الثاني فقد يقول قائل: كيف يكون عمر ملهمًا وأبو بكر ليس كذلك، فيقال: إن أبا بكر رضي الله عنه يوفق للصواب بدون إلهام. بمعنى أنه رضي الله عنه من ذات نفسه بتوفيق الله – عزَّ وجلَّ – يُوفّق للصواب ويَدُلّ على هذا عدة مسائل، يعني يدل على أن أبا بكر أشد توفيقًا للصواب من عمر عدة مسائل:

أولاً: في صلح الحديبية لما اشترطت قريش على النبي ﷺ شروطًا يبدو أنها ثقيلة عظيمة، عمل عمر رضي الله عنه على إبطالها، وجاء إلى النبي

---

(١) رواه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، من فضائل عمر رضي الله عنه، رقم(٤٤١١).

ﷺ يراجعه في ذلك ويقول: كيف نعطى الدنيّة في ديننا، كيف نشترط على أنفسنا أن من جاءنا منهم مسلمًا، رددناه إليهم، ومن جاءهم منا لا يردونه هذا ثقيل، ولكن النبي ﷺ قال له: "إني رسول الله ولست عاصيه وهو ناصري"، فذهب عمر رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه يريد أن يستنجد به في إقناع الرسول ﷺ فكلم أبا بكر فقال له أبو بكر مثل قول الرسول ﷺ لعمر سواء بسواء قال: إنه رسول الله وليس بعاصيه وهو ناصره فاستمسك بغرزه، يعني لا يكن عندك شك في أمره، فهذا واحدة، إذن من الموافق للصواب في هذا؟ أبو بكر لا شك.

ثانيًا في موت الرسول ﷺ. لما شاع الخبر في المدينة أن النبي ﷺ مات، اجتمع الناس في المسجد وقام عمر فيهم وقال: "إنه لم يمت وإنما صُعق وليبعثنه الله، فليُقطّعنّ أيدي أقوام وأرجلهم من خلاف(١)"، وأنكر أن يكون قد مات، وكان أبو بكر قد خرج ذلك اليوم إلى بستان له خارج المدينة فلما رجع وجد النبي ﷺ قد مات حقًّا، فخرج إلى المسجد وصعد المنبر، وقال كلماته المشهورة التي تكتب بأغلى من ماء الذهب. قال: أما بعد أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[الزمر: ٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[آل عمران: ١٤٤].

(١) رواه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت...، رقم(٣٣٩٤).

قال عمر: فوالله ما إن تلاها أبو بكر حتى عقرت، فما تحملُني رجلاي، يعني أن الإنسان إذا خاف واشتد به الشيءُ لا يقدر أن يقف.

ثالثًا:أنه لما توفي الرسول ﷺ ارتد من ارتد من العرب - كفروا والعياذ بالله - وكان النبي ﷺ قد جهز جيشًا أميرُه أسامة بن زيد، ليقاتل أدنى أهل الشام والجيش كان ظاهر المدينة ولكن لم يسيروا بعد، ولما ارتد العرب جاء عمر لأبي بكر، وقال لا ترسلِ الجيشَ، نحن في حاجة، فقال له أبو بكر: والله لا أحلّن راية عقدها رسول الله ﷺ، وسيّرهم أبو بكر، فكان الصواب مع أبي بكر رضي الله عنه لأن الناس لما سمعوا أن أهل المدينة أرسلوا الجيش إلى أطراف الشام، قالوا: هؤلاء عندهم قوة ولا يمكن أن نرتدّ، فامتنع كثير من الناس عن الردة وبقوا في الإسلام.

فالمهم أن أبا بكر رضي الله عنه أبلغ من عمر رضي الله عنه في إصابة الصواب لا سيما في المواضع الضيقة، وعلى كل حال كلا الرجلين رضي الله عنهما وجمعنا وإياكم بهما في جنات النعيم، موفق للصواب، وكلما كان الإنسان أقوى إيمانًا بالله وأكثر طاعة لله وفقه الله تعالى إلى الحق بقدر ما معه من الإيمان والعلم والعمل الصالح، تجده مثلاً يعمل عملاً يظنه صوابًا لكن بدون أن يكون عنده دليل من القرآن والسنة فإذا راجع أو سأل، وجد أن عمله مطابق للكتاب والسنة، وهذه من الكرامات، فعمر رضي الله عنه قال فيه الرسول ﷺ: "إن يكن فيكم مُحدّثون فإنه عمر".

* * *

١٥٠٥- وَعَنْ جَابر بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنهما قال: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا، يَعْني: ابن أبي وَقَّاص رضي الله عنه إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَل عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فأرسلَ إليهِ، فقال: يا أبا إسحاقَ، إنَّ هَؤُلاءِ يَزْعُمُون أَنَّك لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فقالَ أَمَّا أَنَا وَالله فَإِنِّي كُنتُ أُصَلِّي بهم صلاة رَسُول الله ﷺ لا أخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاةَ العِشَاءِ فأرْكُدُ في الأوليَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأخريَيْنِ، قال: ذلك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق، وأرسلَ معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْه أَهْلَ الكُوفَةِ فَلَمْ يَدِعْ مَسْجدًا إلاَّ سَأَلَ عَنْه، ويُثنون مَعْرُوفًا، حَتّى دَخَل مَسْجدًا لبني عَبْسٍ، فَقام رجُلٌ مِنْهم، يُقال له أُسامةُ بْنُ قَتَادة، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَة، فقال: أَمَا إِذْ نشدْتَنا فإنَّ سَعْدًا كان لا يَسِير بالسَّرِيَّة، ولا يَقْسِم بالسَّويَّة، ولا يَعْدِلُ في القَضِيَّة، قال سعدٌ: أما والله لأدعُوَنَّ بثلاثٍ: اللهُمَّ إن كان عبدُك هَذا كاذبًا، قَامَ رياءً، وسُمْعَةً، فأَطِلْ عُمُرَهُ، وأَطِلْ فَقْرَهُ، وعرِّضْهُ للفتن، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقولُ: شَيْخٌ كَبيرٌ مفتونٌ، أَصَابَتْني دعوةُ سعدٍ.

قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عَمَيْرِ الرَّاوِي عَنْ جَابِرِ بن سَمُرَةَ: فَأَنَا رَأَيتُهُ بَعْدُ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلى عَينيه مَنِ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ للجَوَارِي في الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ[1]. متفق عليه.

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، رقم(٧١٣)، ولم أجده في صحيح مسلم.

الشـرح

هذه من الكرامات التي نقلها المؤلف - رحمه الله - وهي ما رواه جابر بن سمرة في قصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وكان سعد معروفًا بإجابة الدعوة، يعني أن الله أعطاه كرامة وهو أن الله تعالى يجيب دعوته إذا دعا، وقد جعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أميرًا على أهل الكوفة، لأن المسلمين لما فتحوا العراق ومصّروا الأمصار، وشيدوا مدينتي البصرة والكوفة وهما أشهر ما يكون في العراق، ثم إن أمير المؤمنين جعل للأمصار أمراء، فأمرّ سعد بن أبي وقاص على الكوفة، فشكاه أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، حتى قالوا إنه لا يحسن أن يصلي، وهو صحابي جليل شهد له النبي ﷺ بالجنة، فأرسل إليه عمر، فحضر وقال: إن أهل الكوفة شكوك حتى قالوا: إنك لا تحسن تصلي، فأخبره سعد رضي الله عنه أنه كان يصلي بهم صلاة النبي ﷺ وذكر صلاة العشاء وكأنها والله أعلم - هي التي وقع تعيينها من هؤلاء الشُّكاة، فقال: إني لأصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أخرم عنها، يعني لا أدعها أستمر عليها، فكنت أطول في العشاء بالأوليَيْن وأقصر في الأُخْريين، فقال له عمر رضي الله عنه: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، فزكّاه عمر، لأن هذا هو الظن به، إنه يحسن الصلاة وإنه يصلي بقومه الذين أُمِّرَ عليهم صلاةَ النبي ﷺ، ولكن مع ذلك تحرّى عمر رضي الله عنه لأنه يتحمّل المسئولية ويعرف قدر المسئولية، فأرسل رجالاً إلى أهل الكوفة، يسألونهم عن سعد وعن سيرته، فكان هؤلاء

الرجال، لا يدخلون مسجدًا ويسألون عن سعد إلا أثنوا عليه معروفًا.

حتى أتى هؤلاء الرجال إلى مسجد بني عبس، فسألوهم، فقام رجل فقال: أما إذا ناشدتمونا، فإن هذا الرجل لا يعدل في القضية ولا يسير بالسرية، ولا يعدل في القضية، فقوله لا يسير السرية، يعني لا يخرج في الجهاد، ولا يقسم بالسوية إذا غنم، ولا يعدل في القضية إذا حكم بين الناس، فاتهمه هذه التهم، فهي تهم ثلاث، فقال أما والله لأدعون بثلاث دعوات، دعا عليه أن يطيل الله تعالى عمره وفقره ويعرضه للفتن، نسأل الله العافية، ثلاث دعوات عظيمة، ولكنه رضي الله عنه استثنى قال: إن كان عبدك هذا قام رياءً وسمعة يعني لا بحق، فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر، عمّر طويلاً حتى إن حاجبيه سقطا على عينيه من الكبر، وكان فقيرًا وعُرّض للفتن، حتى إنه في هذه الحال وهو كبير إلى هذا الحد يتعرض للجواري يعني للبنات، يتعرض لهن في الأسواق يغمزهن والعياذ بالله، وكان يقول عن نفسه: شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد.

فهذا من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفيه من الفوائد فوائد عديدة.

منها: أن من تولى أمرًا للناس فإنه لا يسلم منهم مهما كانت منزلته، لابد أن يناله السوء، ولهذا قال ابن الوردي في منظومته المشهورة، التي أولها:

اعتـزل ذكر الأغاني والغـزل   وَقُل الفصلَ وجانب مَنْ هزل

ودع الذكرى لأيـام الصِّـبا   فلأيـام الـصبا نجـم أهـل

قال فيها من جملة ما قال من حكم:

إن نصف النـاس أعداء لمن وَلِـي الأحكام، هذا إن عدل

ومن الفوائد أيضًا: جواز دعاء المظلوم على ظالمه بمثل ما ظلمه كما دعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بهذه الدعوات على من ظلمه.

ومن فوائده: أن الله تعالى يستجيب دعاء المظلوم، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن وأمره أن يأخذ الزكاة من أموالهم، قال: "إياك وكرائم أموالهم واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب(١)" فالمظلوم يستجيب الله دعاءه حتى ولو كان كافرًا فيُظلم ويدعوا لله على من ظلمه أجاب الله دعاءه، لأن الله حكم عدل - عزَّ وجلَّ - يأخذ بالإنصاف والعدل لمن كان مظلومًا ولو كان كافرًا، فكيف إذا كان مسلمًا؟

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجوز للإنسان أن يستثني في الدعاء، إذا دعا على شخص يستثني فيقول: اللهم إن كان كذا فافعل به كذا، اللهم إن كان ظلمني فأنصفني منه أو فابتَلِه بكذا وكذا، تدعو بمثل ما ظلمك، وقد جاء الاستثناء في الدعاء في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النور: ٦ - ٩].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، رقم(١٤٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم(٢٧).

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: حرص أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه على الرعية وتحمله المسئولية وإحساسه بها وشعوره بها رضي الله عنه، ولهذا اشتهر بعدله وحسن سياسته في الأمور كلها، الحربية والسلمية والدينية والدنيوية، فهو في الحقيقة خير الخلفاء بعد أبي بكر، بل هو حسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنه، لأن الذي ولّاه على المسلمين هو أبو بكر رضي الله عنه، فالحاصل أن هذا الحديث فيه فوائد عديدة نقتصر منها على ذلك. والله الموفق.

* * *

١٥٠٦- وعَنْ عُرْوة بْن الزُّبَيْر أَنَّ سَعيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رضي الله عنه خاصَمَتْه أَرْوَى بنتُ أوسٍ إلى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَم، وادَّعَتْ أنه أَخَذَ شيئًا مِنْ أَرْضِها، فقال سَعِيْدٌ: أَنَا كُنتُ آخذُ مِنْ أَرْضِها شَيْئًا بَعد الّذِي سَمِعتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟! قَال: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأرضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ" فقال له مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُك بيِّنَةً بَعْدَ هَذا، فقال سعيدٌ: اللهُمَّ إنْ كانتْ كاذِبَةً، فأعْمِ بَصَرَها، واقْتُلْهَا في أرْضِهَا، قال: فَمَا ماتتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُها، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي في أَرْضِها إذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فماتَتْ[1]. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم عن مُحَمَّدِ بن زَيْد بْنِ عَبْدِ الله بْن عُمَرَ بمعناه وأنه

---

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، رقم(٢٩٥٩)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم(٣٠٢٢).

رآها عَمْيَاء تَلْمِسُ الجدُرَ تقول: أصابتْني دَعْوةُ سَعِيدٍ، وأنَّها مَرَّتْ على بِئرٍ في الدَّارِ التي خاصَمَتْهُ فيها، فَوقَعَتْ فيها، فَكَانَتْ قَبْرَها.

الشـــرح

من كرامات الأولياء أن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوتهم، حتى يدركوها بأعينهم فهذا سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة، خاصمته امرأة ادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها فخاصمته عند مروان، فقال: أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ! قالوا: وما سمعت؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين" أو طوقه يوم القيامة من سبع أرضين" يعني فكيف آخذ منها بعد أن سمعتُ هذا من النبي ﷺ. كل مؤمن يؤمن بالله ورسوله إذا سمع مثل هذا الخبر الصادر عن الصادق المصدوق ﷺ، فإنه لا يمكن أن يظلم أحدًا من أرضه ولا شبرًا، فالرسول ﷺ يُخْبِر أنك لو أخذت شبرًا من الأرض، وقيّده بالشبر من باب المبالغة وإلا فإن أخذ أقل من ذلك ولو سنتيمترًا واحدًا فإنه يُطوّق به يوم القيامة من سبع أرضين، إذا كان يومُ القيامة جاءت هذه القطعة التي أخذها مطوّقَةً في عنقه من سبع أرضين، لأن الأرضين سبع طباق، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢].

والإنسان إذا ملك أرضًا، ملك قعرها إلى أسفل السافلين، إلى الأرض السابعة، وإذا ملكها أيضًا ملك هواءها إلى الثريا، لا أحد يستطيع

أن يبني فوقه جسرًا أو يحفر تحته خندقًا، لأن الأرض له إلى أسفل السافلين، وإلى أعلى السماء، كلها له، إذا كان يوم القيامة وهذا قد اقتطع شبرًا من الأرض بغير حق، فإنه يأتي يوم القيامة مطوقًا به عنقه، نسأل الله العافية.

وفي اليوم المشهود يوم القيامة حيث تحشر جميع الخلائق حتى الوحوش كلها تحشر يوم القيامة، وهذا المعتدي يشاهد حاملاً هذه الأرض والعياذ بالله من سبع أرضين، ولهذا قال النبي ﷺ: "لعن الله من غير منار الأرض[1]" غير منارها أي غير مراسيمها فأدخل شيئًا ليس له، وفي هذا دليل على أن أخذَ شيء من الأرض بغير حق من كبائر الذنوب لأن عليه هذا الويل العظيم، اللعن وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقومٍ هم اليوم يأخذون أميالاً بل أميال الأميال والعياذ بالله بغير حق، يأخذونها يضيقون بها مراعي المسلمين، ويحرمون المسلمين من مراعيهم أو من طرقهم أو من مسيل أوديتهم أو ما أشبه ذلك، هؤلاء سوف يطوقون ما أخذوا يوم القيامة والعياذ بالله، لأنهم أخذوها بغير الحق، المراعي للمسلمين عمومًا، الخطوط والطرقات للمسلمين عمومًا، الأودية - أودية الأمطار - للمسلمين عمومًا، ولهذا قال العلماء: إن الإنسان لا يملك بالإحياء ما قَرُب من عامر وهو يتعلق بمصلحة هذا العامر، حتى لو أحياها وغرسها وبناها بل يقلع غرسه ويُهدم بناؤه إذا كان هذا يتعلق بمصالح البلد، والبلد ليست ملكًا لفلان أو علان بل هي لعموم المسلمين، حتى لو فرضنا أن ولي الأمر أقطع

(١) رواه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، رقم(٣٦٥٧).

هذا الرجل من الأرض التي يحتاجها أهل البلد فإنه لا يملكها بذلك لأن ولي الأمر إنما يسعى لمصالح المسلمين، لا يخص أحدًا بمصالح المسلمين دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية، ولهذا لما ارتفعت قيم الأراضي صار الناس والعياذ بالله يعتدي بعضهم على بعض، يدّعي أن الأرض له وهي ليست له، يكون جارًا لشخص ثم يُدخل شيئًا من أرضه إلى أرضه. وهذا على خطر عظيم حتى أن العلماء، - وقد يتعب القارئ من هذا - قالوا: لو أن الإنسان بنى جدارًا ثم زاد في تشييده أي في لياصته "المحارة" ودخل على السور سنتيمترًا فإنه يكون ظالمًا ويكون بذلك مُعاقبًا عند الله يوم القيامة، فانظر وتأمل هذا التحذير من العلماء إلى هذا الحد، والناس الآن والعياذ بالله يأخذون أميالاً أو أمتارًا مع هذا الوعيد الشديد، ومروان رحمه الله لما حدثه سعيد بن زيد رضي الله عنه بهذا الحديث قال: الآن لا أطلب عليك بينة، لأنه يعرف أن سعيدًا لا يمكن أبدًا أن يأخذ من أرض هذه المرأة بدون حق، أما المرأة فقال سعيد رضي الله عنه: اللهم إن كانت كاذبة فأعْمِ بصرها وأهلكها في أرضها، فماذا كان؟ أعمى الله عز وجل هذه المرأة قبل أن تموت، وبينما هي تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت، فكانت البئر قبرها في نفس الأرض التي كانت تُخاصم فيها سعيد بن زيد رضي الله عنه، وهذا من كرامة الله عزَّ وجلَّ لسعيد بن زيد، أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًّا قبل أن يموت، وقد سبق لنا أن المظلوم تُجاب دعوته ولو كان كافرًا إذا كان مظلومًا، لأن الله تعالى ينتصر للمظلوم من الظالم لأنه جل وعلا حَكَمٌ عَدْلٌ لا يظلم ولا يُمكّن أحدًا من الظلم، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم

كلام رب العالمين: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١] .

فالظالم لا يفلح أبدًا، فتأمل واعتبر بهذه القصة وقصة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه التي ذكرناها سابقًا وكيف أجاب الله الدعوة؟ وهذه هي سنة الله سبحانه وتعالى في عباده، نسأل الله أن يحمينا وإياكم من الظلم. والله الموفق.

* * *

١٥٠٧ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لـمَّا حَضَرَت أُحُدٌ دَعاني أَبي مِنَ اللّيل فَقَالَ: مَا أَرَاني إلا مَقْتُولاً فِي أَوَّلِ مَنْ يُقتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وَإِنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، وإنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوصِ بِأَخْوَاتِكَ خيرًا. فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيل، وَدَفَنتُ مَعَهُ آخر في قبره، ثُمّ لَـمْ تطِبْ نفسِي أَنْ أَتْرُكَه مَعَ آخَرَ، فاستخرجْتُهُ بعد سِتَّةِ أَشْهرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضعْتُهُ غَيْرَ أُذنِهِ، فَجَعلتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ[١]. رواه البخاري.

الشـرح

سبق لنا بيان شيء من كرامات الأولياء التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - في باب كرامة الأولياء وفضلهم، وذكر في هذا الحديث ما جرى لعبد الله بن حرام رضي الله عنه والد جابر بن عبد الله، فإنه أيقظ ابنه جابرًا ليلة من الليالي،

---

(١) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة، رقم(١٢٦٤).

وقال: ما أراني إلا أول قتيل من أصحاب النبي ﷺ وذلك قبيل غزوة أحد، ثم أوصاه وقال: إني لن أترك من بعدي أحدًا أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ، وأوصاه بأن يقضي دينًا كان عليه وأوصاه بأخواته ثم كانت الغزوة فقتل رضي الله عنه، وكان القتلى في ذلك اليوم سبعين رجلاً فكان يشق على المسلمين أن يحفروا لكل رجلٍ قبرًا، فجعلوا يدفنون الاثنين أو الثلاثة في قبر واحد فدفن مع أبي جابر "عبد الله بن حرام" رجلٌ آخر، ولكن جابر رضي الله عنه لم تطب نفسه حتى فَرّق بين أبيه وبين من دُفن معه فحفرَه بعد ستة أشهر من دفنه فوجده كأنه دُفن اليوم، لم يتغيّر إلا شيء في أذنه شيئًا يسيرًا، ثم أفرده في قبر.

أما جابر رضي الله عنه فقد وَفّى دين أبيه واستوصى بأخواته خيرًا حتى إنه تزوج بعد ذلك، وتزوج امرأة ثيبًا فسأله النبي ﷺ هل تزوجت؟ قال: نعم. قال: بكرًا أم ثيبًا: قال: ثيبًا قال: فهلّا تزوّجت بكرًا تلاعبُك وتلاعبُها، وتضاحِكُك وتَضُاحِكُها فقال: يا رسول الله إن أبي ترك أخوات لي، وذكر أنه أخذ الثيب لتقوم عليهن "لتقوم على خدمتهن" وفي هذه كرامة لأبي – جابر وهو عبد الله بن حرام – أنه رضي الله عنه صدَق الله رؤياه فصار أوّل قتيل في أحد، ودفن ولم تأكل الأرض منه شيئًا إلا يسيرًا وقد مضى عليه ستة أشهر، وهذا من كراماته.

واعلم أن الإنسان إذا دُفن فإن الأرض تأكله لا يبقى إلا عجب الذنب، وعجب الذنب هذا يكون كالنواة لخلق الناس يوم القيامة، تنبت منه الأجساد، إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن الأرض لا تأكلهم، كما

قال النبي ﷺ: "إن الله حَرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء[1]" أما غير الأنبياء فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع اللهُ الأرض أن تأكل أحدًا كرامة له. والله الموفق.

* * *

١٥٠٨ - وعن أنسٍ رضي الله عنه أن رجُلَيْن مِنْ أصحاب النبي ﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ في ليلةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلَ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهما، فلَمَّا افْتَرَقا صَارَ مَعَ كُلِّ واحدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ[2].

رَوَاهُ البُخَارِيّ من طُرقٍ، وَفِي بعضِها أنّ الرَّجُلَين أُسَيْدَ بْنَ حضيرٍ، وعبَّاد بْنَ بِشر رضي الله عنهما.

الشــرح

هذا حديث ذكره الحافظ النووي - رحمه الله - في باب كرامات الأولياء وفضلهم وهو حديث الرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما كانا عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة وكان في ذاك الوقت ليس في الأسواق أنوار، بل ولا في البيوت مصابيح، فخرجا من عند النبي ﷺ في تلك الليلة المظلمة، فجعل الله تعالى بين أيديهما مثل المصباحين، يعني مثل

(١) رواه أحمد (٤/٨)، وأبوداود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم(٨٨٣)، والنسائي: باب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ، رقم(١٣٥٧)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم(١٠٧٥).

(٢) رواه البخاري: كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد للعلة، رقم(٤٤٥).

لمبة الكهرباء تضيء لهما الطريق، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما، ولكن الله تعالى خلق نورًا يسعى بين أيديهما حتى تفرّقا وتفرّق النور مع كل واحد منهما، حتى بلغا بيوتهما، وهذا كرامة من الله عزَّ وجلَّ، من كرامة الله تعالى أنه يضيء للعبد الطريق، الطريق الحسي وفائدته الحسية، فإن هذين الرجلين رضي الله عنهما وأرضاهما مشيًا في إضاءة ونور بينما الأسواق ليس فيها إضاءة ولا أنوار والليلة مظلمة، فقيض الله لهما هذا النور، هناك أيضًا نور معنوي يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن كرامةً له، تجد بعض العلماء يفتح الله عليه من العلوم العظيمة الواسعة في كل فن ويرزقه الفهم والحفظ والمجادلة لنصرة الحق.

ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله عليه – فإن هذا الرجل مَنَّ الله به على الأمة الإسلامية وما زالت الأمة الإسلامية تنتفع بكتبه إلى يومنا هذا، وقد تُوفِّي سنة ٧٢٨هـ يعني منذ مئات السنين، والأمة تنتفع بكتبه، وقد أعطاه الله تعالى علمًا عظيمًا وفهمًا ثاقبًا، وقوة في المجادلة ولا أحد يستطيع أن يجادله في شيء أبدًا، حتى إنه رحمه الله قال: أيُّ إنسان يجادلني بالباطل ويستدل بآية أو حديث فإنني سأجعل الآية والحديث دليلاً عليه وليست دليلاً له. وهذا من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن الله تعالى يُعطي الإنسان قدرة إلى هذا الحد، وحتى إنه يتكلم مع المجادلين ويُناظرهم ثم يقول لهم: انظروا إلى قول فلان من زعمائهم في كتابه الفلاني واتباع هذا الرجل الذي يجادلون فيه - شيخ الإسلام - لا يعلمون عن كتبه شيئًا وهو يعلم ما في كتبه، ومناظرته في العقيدة الواسطية مع القاضي المالكي عجيبة،

كان القاضي المالكي يحاول أن يجعل السلطان يبطش به، لكنه يقول هذا لا يمكن ولا يجري على مذهبكم وأنتم أيها المالكية قلتم كذا وكذا. ولا يمكن أن يدين للوالي بهذا الذي ذكرت بناء على مذهبكم، فيبهت الرجل، كيف يعرف من مذهبنا ما لا نعرف؟! وله أيضًا رحمه الله في كل فن يد واسعة، كان عالمًا في النحو والعربية والصرف والبلاغة، حتى إن تلميذه ابن القيم - رحمه الله - في بدائع الفوائد بحث بحثًا دقيقًا جدًّا جدًّا في الفرق بين "مدح" و"حمد" وكيف تفرق اللغة العربية بين المعاني في الكلمات بتقديم حرف أو تأخيره وأتى ببحث عجيب، ثم قال: وكان شيخنا - رحمه الله - إذا تكلّم بهذا أتى بالعجب العجاب، يعني في مسألة اللغة والصرف، ولكنه كما قال الشاعر:

تألق البرق نجديًّا فقلتُ له يا أيها البرق إنِّي عنك مشغولُ[1]

يعني أن شيخ الإسلام مشتغل بما هو أكبر من مسألة نحوية أو بلاغية أو صرفية، فهو مشغول بأكبر من هذا، وفي يوم من الأيام قَدِمَ مصرَ وكان فيها أبو حيان اللغوي المشهور المفسر من العلماء الكبار في هذا الباب، وكان أبو حيان يمدح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، وله في مدحه قصيدة عصماء، منها قوله:

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقامَ سيِّد تيم إذ عصت مضره[2]

والمقصود بسيّد تيم هو أبو بكر رضي الله عنه، يعني أنه قام في

(١) «معجم البلدان» (٥/ ٢٦٤) منسوبًا إلى عبدالرحمن بن دارة.

(٢) «المقصد الأرشد» (١/ ١٣٨) منسوبًا إلى أبي حيان الأندلسي.

الإسلام في محنة الإسلام والبدع مقام أبي بكر في يوم الردة ومدحه في قصيدة عصماء، فلما قدم مصر، جاء الناس إلى شيخ الإسلام ابن تيمية يستفيدون من علمه ويناقشونه، وكان من بينهم أبو حيان، فناقشه في مسألة نحوية؛ لأن أبا حيان بحر محيط في النحو، ناقشه في مسألة نحوية فقال له شيخُ الإسلام: هذا غلط ليس هذا من كلام العرب، فقال له: كيف وسيبويه إمام النحويين ذكر هذا في كتابه، فقال له شيخ الإسلام: وهل سيبويه نبيٌّ نحوٍ يجب علينا أن نتبعه؟ لقد أخطأ سيبويه في كتابه في أكثر من ثمانين موضعًا لا تعلمها أنت ولا سيبويه، وسيبويه عند النحويين مثل البخاري عند أهل الحديث، فتعجّب أبو حيان، كيف يقول هذا الكلام، ثم إنه ذهب عنه فأنشأ فيه قصيدة يذمُّه والعياذ بالله، بالأمس يمدحه والآن يذمه.

والمهم أني أقول إذا كان الله تعالى يُعطي في الكرامات نورًا حسيًّا يستضيء به الإنسان، كما حدث لهذين الصحابيين، فكذلك يُعطي الله نورًا معنويًّا يقذفه في قلب العبد المؤمن، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء، وأن يقذف في قلوبنا نورًا وهدىً، يستطيع الإنسان به أن يتكلّم في شريعة الله، وكأن النصوص بين عينيه، وهذا من نعمة الله على العبد، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين.

* * *

١٥٠٩ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رَسُولُ الله ﷺ عَشْرَةَ رهطٍ عينًا سَريَّة، وأمَّر عليهم عَاصمَ بْنَ ثابت الأنصَاريّ رضيَ الله

عنه فانطلَقُوا حَتّى إذا كَانُوا بالهدْأَةِ، بَيْنَ عُسْفان ومَكَّة، ذُكِرُوا لحَيّ من هُذَيْل يُقالُ لَهُمْ: بنُو لحيَانَ، فَنَفَرُوا لهمْ بِقَريبٍ مِنْ مِائةِ رَجُلٍ رام، فاقْتَصّوا آثارَهُمْ، فلمّا أحسَّ بِهِمْ عَاصِمُ وأَصْحابُه، لجؤُوا إلى مَوْضعٍ فَأَحَاطَ بِهِمُ القومُ، فَقَالوا: انْزِلُوا، فأعْطُوا بأيديكُمْ ولَكُم العَهْدُ والـمِيثَاقُ أنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُم أَحَدًا، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابتٍ، أيُّها القومُ أمّا أَنَا، فَلا أنْزِلُ عَلى ذِمَّة كافر: اللهُمَّ أخبرْ عَنَّا نبيَّك ﷺ، فَرَمَوْهُمْ بالنَّبْل فقتلوا عَاصِمًا، ونَزَل إليهم ثَلاثةُ نفرٍ عَلى العَهْدِ والـمِيثَاقِ، مِنْهُم خُبَيبٌ، وَزَيدُ بْنُ الدَّثِنةِ وَرَجلٌ آخرُ. فلما اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أطلَقُوا أَوْتَار قِسِيِّهِمْ، فَربطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هذا أوّل الغَدْرِ والله لا أصْحَبُكم إنَّ لي بهؤُلاَءِ أُسْوةً، يُرِيدُ القَتْلى، فَجرُّوهُ وَعَالجوهُ، فأبَى أن يَصْحَبهُمْ، فَقَتلُوه، وانْطَلَقُوا بخُبيبٍ، وزَيْدِ بنِ الدِّثنةِ، حَتّى باعُوهُما بمكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بدْرٍ، فاتباع بنو الحارث بن عَامِر بن نَوْفَل بنِ عَبْد مَنَافٍ خبيبًا، وكان خبيبٌ هو قَتَل الحارث يَوْمَ بَدْرٍ، فلَبِثَ خُبَيْبُ عِنْدَهم أَسِيرًا حَتّى أجْمَعُوا عَلى قَتْلِه، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحارِثِ مُوسَى يستَحِدُّ بها فأعارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنيٌّ لها وَهِيَ غافِلَةٌ حَتّى أتاهُ فَوَجَدَتْه مُجْلِسَه على فخذِهِ والـمُوسى بِيَدِه، ففزِعَتْ فزعةً عَرفَهَا خُبيبٌ. فقال: أَتَخْشَينَ أَنْ أَقتُلَه ما كُنتُ لأفعلَ ذَلك! قَالَتْ: والله ما رأيتُ أَسِيرًا خَيْرًا من خُبَيبٍ، فَوالله لَقَدْ وَجَدْتُهُ يومًا يَأكلُ قِطْفًا من عِنَبٍ في يَدِه وإنَّهُ لَمُوثَقٌ بالحَدِيدِ وَمَا بمكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إنَّه لَرِزقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبيبًا، فلمّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحرَمِ ليقتُلوه في الحِلِّ، قال لـهُمْ خُبَيبٌ: دعُوني أُصَلِّي

رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكعَ رَكْعَتينِ، فقال: واللهِ لَوْلا أن تَحْسِبُوا أنَّ مَا بِي جزعٌ لزِدْتُ. اللهمَّ أحْصِهِمْ عددًا، واقْتُلْهمْ بِدَدًا، ولا تُبْقِ مِنْهُم أحدًا، وقال:

فلستُ أبالي حينَ أُقتل مسلمًا ... على أي جنبٍ كان لله مَصْرَعي

وَذَلك في ذاتِ الإله وإن يَشأ ... يُبَارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وكان خُبيبٌ هُو سَنَّ لِكلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صبرًا الصلاةَ، وأَخْبَرَ - يعني النبيَّ ﷺ -أَصْحَابَه يَوْمَ أُصيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ ناسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى عاصِمِ بْنِ ثَابتٍ حين حُدِّثُوا أنه قُتِلَ أن يُؤتَوا بِشَيءٍ مِنْه يُعرفُ، وَكانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهم، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ من الدَّبْرِ فَحَمتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أن يَقْطَعُوا منه شيئًا[1]، رواه البخاري.

قَوْلُه: الهدْأة: مَوضع، والظُّلَّةُ: السَّحابُ، الدَّبْرُ: النحل.

وقوله: "اقْتُلْهُمْ بِدَدًا" بكسر الباء وفتحها، فمن كسر، قال: هو جمع بدَّةٍ بكسر الباء، وهي النصيب، ومعناه: اقْتُلْهُمْ حِصَصًا مُنْقَسِمَةً لِكُلِّ واحدٍ منهم نصيبٌ، وَمَنْ فَتَح، قال: معناهُ مُتَفَرِّقين في القتلِ واحدًا بعدَ واحدٍ من التَّبْدِيد.

وَفِي البابِ أحاديثُ كثيرةٌ صَحِيحةٌ سَبقت في مَوَاضِعِه مِن هذا الكتاب، منها حديثُ الغُلام الذي كان يأتِي الراهبَ والسَّاحِرَ، ومِنْها حديثُ جُرَيْج، وحديثُ أَصْحَابِ الغارِ الذين أطْبَقَتْ عليهم الصَّخْرَة، وحديثُ الرَّجُلِ الذي سَمِعَ صوتًا في السَّحَاب يقول: اسْقِ حديقةَ فُلانٍ،

---

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا، رقم(٣٦٩٠).

وغير ذلك، الدلائل في الباب كثيرةٌ مَشْهُورةٌ، وبالله التوفيق.

الشـــرح

ساق المؤلف – رحمه الله – في باب كرامات الأولياء وفضلهم عِدَّةَ أحاديثَ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قِصَّة عاصم بن ثابت الأنصاري وصحبه، أرسلَهم النبي ﷺ سرية وهم عشرة عينًا يعني مثل الجواسيس على العدوّ، حيث أخفاهم عليه الصلاة والسلام، فلمّا وَصَلوا قُرب مكّة شعر بهم جماعة من هذيل فخرجوا إليهم في نحو مائة رجل رامٍ يعني يُجيدون الرمي، فاتّبعوا آثارهم حتى أحاطوا بهم، ثم طلبوا منهم – أي الهذليون – أن ينزلوا بأمان وأعطوهم عهدًا أن لا يقتلوهم، فأمّا عاصم فقال والله لا أنزل على ذمة كافر أي على عهده، لأن الكافر قد خان الله عزَّ وجلَّ، ومن خان الله خان عباد الله، ولهذا لما كتب أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، أن عنده رجلاً نصرانيًّا جيدًا في المحاسبة وطلب من عمر أن يأذن له أن يوظف هذا النصراني على بيت المال، لأنه رجل جيد في الحساب، فكتب إليه عمر إنني لا آمن من خان الله ورسوله، لأن كل كافر فهو خائن ولا توليه على بيت المال، فكتب إليه أبو موسى مرةً ثانية قال هذا الرجل قلّما يوجد مثله في الحساب والجودة، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

"بسم الله الرحمن الرحيم، من أمير المؤمنين عبد الله بن عمر بن الخطاب: مات النصراني، والسلام".

جملة واحدة، "مات النصراني"، يعني قَدّر أنه مات، هل إذا مات تتعطل المحاسبة عندنا في بيت المال، فقطع طمع أبي موسى رضي الله عنه.

المهم أن عاصم بن ثابت رضي الله عنه أبى أن ينزل على عهد الكفار، لأنهم لا يؤتمنون، كل كافر فهو غير أمين، ثم إن هؤلاء الهذليين رموا هؤلاء الصحابة العشرة بالنبل، فقتلوا عاصمًا وقتلوا ستة آخرين، وبَقي ثلاثة، وقالوا: ننزل وننظر هل يُوفّون أم لا، فأخذهم الهذليوّن ثم حلّوا قِسِيَّهم ربطوا أيديهم، فقال الثالث: هذا أول الغدر، لا يمكن أن أصحبكم، فحاولوا معه قال: أبدًا فقتلوه، ثم ذهبوا بخبيب وصاحبه إلى مكة فباعوهما، فاشترى خبيبًا رضي الله عنه أناسٌ من أهل مكة وكان قد قتل زعيمًا لهم في بدرٍ، ورأوا أن هذه فرصة أن يقتلوه ثم أبقوه عندهم أسيرًا مغلولة يداه، وفي يوم من الأيام كان في البيت، وكان أسيرًا مغلولة يده، فدرج صبي من أهل البيت إلى خبيب رضي الله عنه، فكأنه رق له ورحمه كعادة الإنسان يرحم الصغار ويرق لهم، ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك ترقّ للصغار وترحمهم فهذه من علامة رحمة الله لك، لأن الراحمين يرحمهم الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال الأقرع ابن حابس لما رأى النبي ﷺ يقبل - أظن الحسن أو الحسين - قال: إن لي عشرة من الولد ما قبّلتهم، قال: **"أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك**[1]**"**، **"إنما يرحم الله من عباده الرحماء"**[2].

---

(١) رواه البخاري: كتاب الأدب، رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم(٥٥٣٩).

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يُعذّب..، رقم(١٢٠٤)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، رقم(١٥٣١).

خُبيب أخذ الصبي ووضعه على فخذه، وكان قد استعار من أهل البيت موسى "يعني موس" يستحدّ به أي يحلق به عانتَه، لما ذهب الصبيُّ يدرج "يلعب" وأمه غافلة عنه، لما تفطنت له وهو على فخذ خبيب، وخبيب معه الموس فظنّت أن هذه فرصة لخبيب، ماذا يصنع، يذبح الولد، الموس معه والولد صبي وهو منفرد به، لكنه رضي الله عنه أمين، صحابيٌّ جليل، لما أحسّ أنها ارتاعت "فزعت" الأم، قال: والله ما كنتُ لأذبحه، قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، رأيته ذات يوم وفي يده قطف عنب يأكله، ومكة ما فيها شيء من ثمر، فعلمت أن ذلك من عند الله عزَّ وجلَّ، فقد هيّأ الله سبحانه وتعالى له هذا العنب، وهو أسير لا يملك لنفسه شيئًا، لا يستطيع أن يخرج إلى السوق يشتري أو يطعم، تحت رحمة هؤلاء، ولكن الله جلَّ وعلا يسّر له هذا القطف من العنب، يأكل عنبًا وهو في مكة فعلمت أنه من عند الله.

وهذا كقصة مريم رضي الله عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. فهذه من كرامة الله تعالى لخبيب رضي الله عنه ، أكرمه الله سبحانه وتعالى، تنزل عليه مائدة من العنب يأكلها وهو أسير في مكة، وبقي أسيرًا ثم أجمع هؤلاء القوم، الذين قُتل والدُهم على يد خبيب، على أن يقتلوه، لكنهم لاحترامهم للحرم قالوا: نقتُلُه خارج الحرم، لأن الإنسان إذا قَتَلَ أحدًا خارج الحرم ودخل إلى الحرم فإنه لا يجوز أن يُقتل

في الحرم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. فهذه سنة كانت في الجاهلية، وأقرها الإسلام على أن الإنسان إذا فعل ما يوجب القتل خارج الحرم ثم لجأ إلى الحرم، فإن الحرم يعيذه، ولا يجوز أن يُقتل؟ فماذا يصنعون به، لو قال قائل: لو سلمنا بهذه القاعدة، كان كل إنسان مجرمٍ يذهب إلى الحرم ويلوذ به، قلنا: لا، نحن لا نقتله في الحرم، لكن نضيق عليه حتى يخرج، كيف نضيق عليه؟

قال العلماء لا يؤاكل ولا يشارب ولا يبايع ولا يشترى منه ولا يُكَلّم، نضيق عليه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، حينئذٍ ماذا يفعل؟ يخرج، وإذا خرج أقمنا عليه ما يجب عليه.

المهم أنهم خرجوا بخُبيب خارج الحرم إلى الحل ليقتلوه، فطلب منهم، أن يُصلّي ركعتين، لأن أشرف الأعمال البدنية الصلاة، ولأنها صلة بين العبد وبين ربه عزَّ وجلَّ، فأذنوا له أن يُصلّي ركعتين، ثم قال: لولا أني أخاف أن تظنوا أن ما بي جزعٌ لزدت، لأنه رضي الله عنه كان حريصًا على الصلاة، ويحب أن يُكثر منها عند موته، ثم دعا عليهم رضي الله عنه بهذه الدعوات الثلاث، اللهم أَحْصِهم عددًا، واقتلهم بِددًا، ولا تُبق منهم أحدًا. فأجاب الله دعوته، وما دار الحول على واحد منهم، كلُّهم قُتِلوا وهذا من كراماته. ثم أنشد هذ الشعر:

ولستُ أبالي حين أُقتل مسلمًا عَلى أيّ جنبٍ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله فإنْ يشأْ يُبارِكْ عَلى أوصال شـلو مُمزّع

فصار من الكرامة لهذا الرجل أن الله سبحانه وتعالى كان يرزقه

الفاكهة التي لا توجد في مكة، وأنه كان يأكلها بيده، ويده موثقة بالحديد، وأنه أول من سَنّ الصلاة عند القتل، فإنه فعل ذلك وأقرّه الله تعالى ورسوله ﷺ، وأنه دعا على هؤلاء القوم، فأجاب الله دعوته.

أما عاصم بن ثابت الذي قُتل رضي الله عنه فإنه شَعر به قومٌ من قريش وكان قد قَتل رجلاً من عظمائهم فأرسلوا إليه جماعة يأتون بشيء من أعضائه يُعرف به حتى يطمئنوا أنَّه قُتل، فلما جاء هؤلاء القومُ ليأخذوا شيئًا من أعضائه، أرسل الله سبحانه وتعالى عليه شيئًا مِثل الظلة من الدَّبْر **"أي من النحل"** نحل عظيم، يحميه به الله تعالى من هؤلاء القوم، فعجزوا أن يقربوه ورجعوا خائبين وهذا أيضًا من كرامة الله سبحانه وتعالى لعاصم رضي الله عنه أن الله سبحانه وتعالى حمى جثته بعد موته من هؤلاء الأعداء الذين يريدون أن يُمثّلوا به.

والكرامات كثيرة ذكر المؤلف منها ما ذكر في هذا الباب وذكر أيضًا أشياء متفرقة في هذا الكتاب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من عقيدة أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجري الله سبحانه وتعالى على أيديهم من أنواع العلوم والمكاشفات، والقدرة والتأثيرات، وقال: الكرامات موجودة قبل هذه الأمة، وفي صَدْر هذه الأمةِ إلى يوم القيامة، وذَكر شيئًا كثيرًا منها في كتابه الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

*** *** ***